مولير

البخيل

هزلية تمثيلية ذات خمسة فصول

تعريب

الياس ابو شبكه



طبعة ثانية

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٧٦ – ١٩٥١

اسماء الممثلين

هرباغون : والد كليانت واليز وعشيق ماريان

كليانت : ابن هرباغون وعشيق ماريان

اليز : ابنة هرباغون وعشيقة فالير

فالير : ابن انسيلم وعشيق أليز

ماريان : عشيقة كليانت يحبها هرباغون

أنسيلم : والد فالير وماريان

فروسين : امرأة دسّاسة

العم سيمون : سمسار

المعلم جاك : طاه وسائق عند هرباغون .

لافليش : خادم كليانت

دام كلود : خادمة هرباغون

لامرلوش : خادم عند هرباغون

براندافوان : » » »

الضابط — الكاتب

الفصل الاول

المشهد الاول

فالير – أليز

فالير	ما بك يا عزيزتي اليز ؟ أراكِ أصبحتِ كئيبة منذ عاهدتني على الحب . ما بكِ ؟ ولِمَ تتنهدين في وسط غبطتي وسروري ؟ أصدقيني . ألأنك أسعدتني بوعدكِ ؟ أم انك تندمين على هذا الوعد الذي دفعك الى اعطائه ما في قلبي من نيران الحب والهيام ؟

اليز	لا يا فالير ، لا أستطيع ان أندم على شيء مما صنعت لأجلك ، فلقد صنعت ما صنعت بدافع قوة عذبة تجذبني اليك . على اني لا أكتمك ان الحب بدأ يقلق نفسي واني أصبحت أخشى التوغل في هذا الحب الى أبعد مما يحقّ لي .

فالير	ماذا ! ماذا تخشين ، يا أليز ، في وسط العطف الذي تشعرين به نحوي .

اليز	واحسرتاه ! مئة أمر في آن واحد : أخشى غضب

والدي ، وتأنيب أهلي ، وألسنة الناس وأكثر من كل ذلك أخشى تبدل قلبك ، يا فالير ، وذلك التحجّر المجرم الذي كثيراً ما يدفعه أبناء جنسك ثمناً للعهود المربوطة بحبٍ بريء .

فالير ليس من العدل ان أؤخذ بجريرة الغير ، وانه لأهون عليّ ان ترتابي بي في كل شيء يا أليز من ان تتهميني بالتقصير في واجبي نحوك . ان حبي اياك لأعظم من أن يأذن لي بارتكاب عمل كهذا ، وسيدوم هذا الحب الى ان تنطفىء حياتي .

اليز كلّ يتخذ هذا المنطق يا فالير ، فجميع الرجال متشابهون في طرق الكلام ، ولا يميز بعضهم من بعض الا طرق العمل .

فالير بما ان طرق العمل هي وحدها تستطيع ان تكشف عن طويتنا وتظهر من نحن ، فاصبري اذاً ريثما تختبرين قلبي بها ، ولا تحمليني تبعة جرائم في مخاوف ظالمة تتوقعينها . لا تنحريني بطعنات تهمة شائنة وافسحي لي أن أقنعك بألف ألف برهان ان نيران حبي وهيامي إنما هي نيران شريفة .

اليز واحرّ قلباه ! انه لمن الهين على المحبين ان يذعنوا لمن يحبون . نعم يا فالير ، ان قلبك ليعجز عن خدعي ، فانت تحبني حباً حقيقياً وستكون أميناً

على عهدي . لا ، لا أريد ان أشكّ فيك ، واعدل شجوني فأجعلها تقوم على أسباب اخرى وهي الخوف من اللوم الذي سيلحق بي .

فالير ولكن فيمَ هذه الشجون ؟

اليز لم أكن لأخشى أمراً لو كان جميع الناس ينظرون اليك بالعين التي أراك بها ، فاني لأرى فيك ما يستحقّ كلّ تكريم واحترام ، ولا أكتمك انك أصبحت جديراً بقلبي ، فقد أنقذتني من خطر شديد، وجعلتني مدينة لك بجميل لا أنساه . واني لأتمثل في كل ساعة ذلك الخطر الغريب الذي هدى كلا منا الى الآخر ، وذلك الكرم المدهش الذي جعلك تخاطر بحياتك لانقاذ حياتي من بين أشداق الأمواج المزبدة ، وذلك الاهتمام الكبير الملآن حناناً الذي أبديته نحوي بعد أن انتشلتني من المياه ، وذلك الثناء المتواصل يطلقه من فمك حبّ ناريّ لم يستطع الزمن ولا المصاعب اخماده ، وقد جعلك تهمل أهلك ووطنك وتقيم في هذا المكان ، ولم يُقعدك هذا الحب عن ان تنكر شخصك النبيل فتتزيا بزي خادم من خدم والدي لتتمكن من الدخول الى هنا لتشاهدني . كل هذا أثّر بي تأثيراً كبيراً وكفاني

برهاناً على الوثوق بالعهد الذي أعطيتني اياه. ولكن ربما لم يكن كل هذا كافياً لجعل الغير يثقون بـه ، وهذا ما يجعلني أرتاب بقدرتي على انزال هذا الغير على رغباتي .

فالير لا أزعم اني أستحق شيئاً مما تقولين الا بحبي وحده، أما القلق المستولي عليك فسببه والدك ، ولا ريب فبخله الشديد والطرق الزاهدة التي يعيش بها مع أبنائه تسبب أموراً أغرب من كل ذلك . عفواً يا عزيزتي اليز اذا تلفظت أمامك بمثل هذه اللهجة ، فأنت تعلمين ان الناس لا يتناولون البخل بكلام طيب . ولكن اذا استطعت سبيلاً ، كما أرجو ، الى استقدام أهلي الى هنا تنحلّ جميع الصعوبات ونبلغ ما نريد ، واذا لم أستطع ذلك أذهب بنفسي الى أهلي وأعود حاملاً اليك البشرى الكبيرة .

اليز آه لا تتحرّك من هنا يا فالير ، بل فكّر في وسيلة تتمكن بها من الاستيلاء على عقل والدي .

فالير ألا ترين الى أية وسيلة لجأت حتى تمكنت من الدخول في خدمتـه ، وبأي زيّ تنكرت لأروقه وأسرّه ، وأي دور أُمثّل معـه كل يوم لأستولي على عواطفـه وشعوره ؟ على ان نجاحي يتضاعف

يوماً بعـد يوم ، ولقد تبين لي ان أفضـل وسيلة لامتلاك قلوب الناس هي التنكـّر بازيائهم أو بميولهم وامتـداح هفواتهم وعيوبهم والتصفيق لكل مـا يفعلون . وظهر لي ان أحذق الناس جميعاً إنما هم بُلْهٌ أمـام المدح والثناء . لا أجهل ان الرصانـة تتألم من المهنة التي احترفها ، ولكنّ من كان بحاجة الى الناس يجب عليه ان يتقرّب منهم بأية وسيلة كانت ، ولمـا كان لا يستطيع ان يمتلكهم إلاّ من هذه الطريق فالذنب لا يقع على المادحـين بل على الذين يتقاضون المديح .

اليز ولكن لماذا لا تسعى أيضاً لاكتساب عطف أخي وعضده حتى اذا اكتشفت الخادمـة سرّنا وحاولت ان تفشيه يكون لنا في أخي عضدٌ وساعد ؟

فالير لا أقدر ان أُداري هذا وذاك في وقت واحـد ، فعقلية الأب تختلف عن عقلية الابن اختلافاً بيّناً . ولكن أنتِ تستطيعين بـدورك ان تستفيدي من الحب الذي يربطك بأخيك فتوسطيه في أمرنا. ها هو قادم، فاغنمي هذه الفرصة وخاطبيه في القضية ، ولكن لا تفشي له منها إلاّ ماترينه مناسباً . الى اللقاء .

اليز لا أعلم اذا كنت أقوى على مفاتحته بالأمر .

المشهد الثاني

كليانت - اليز

كليانت: إني لمسرور برؤيتك وحدكِ يا اختِ ، وقد كنت أتحرّق شوقاً لمفاتحتك بأمر يهمني جداً .

اليز: هاءنذا مستعدة لسماع ما ترغب في قوله يا أخي ، فهات ما عندك . ماذا تريد أن تقول لي ؟

كليانت: أشياء كثيرة ، يا أخت ، محصورة كلها في كلمة واحدة هي : أُحب .

اليز: تحب ؟

كليانت: أَجل ، أُحب . ولكن قبل أن أذهب الى أبعد من ذلك أقول لك اني لا أجهل ان أمري معلّق بوالد وان اسم الابن الذي أحمله يخضعني لمشيئته ، وانه لا ينبغي لنا أن نتصرف بأنفسنا من غير ان نستشير الذين أوجدونا في الحياة ؛ وان السماء أعطتهم الحقّ في السيادة على إرادتنا ؛ ولا اجهل أيضاً أنهم أقلُّ خطأ منّا ، وانهم يرون ما يلائمنا بعينٍ أَصدق من العين التي نرى بها نحن ، وان الواجب يقضي علينا بأن نكون أشدّ إيماناً بأنوار حكمتهم منا بظلمات

اهوائنا ، وان هوس الشباب كثيراً ما يقودنا الى لجج مشؤومة . أقول لك كلّ ذلك ، يا أختِ ، لكي أوفر عليك مشقة قولها لي ، فحبي لا يريد أن يصغي الى شيء وأرجو منك الاّ تعمدي الى الملاحظات .

اليز وهل عاهدت عشيقتك يا أخي ؟

كليانت لا ، ولكني عزمت . واستحلفك مرةً بعد ان لا تجيئيني بأسباب تحاولين بها إرجاعي عن عزمي .

اليز أتسيء بي الظنّ الى هذه الدرجة يا أخي ؟

كليانت لا ، يا أخت ، ولكنك لا تحبين أنت ، وتجهلين أيّ عنفٍ عذب يعالج به الحبُّ قلوبنا ، وأخشى حكمتك وتعقلك .

اليز واحرّ قلباه ! لا تبحث معي عن تعقلي يا أخي ، فما من امرىء لم يفقد تعقله ولو مرةً في الحياة ، واذا فتحت لك قلبي ربما رأيتني أقل حكمةً منك .

كليانت آه ! وهل شاءَت السماء أن تكون نفسك كنفسي ؟ ...

اليز تعال ننهي قضيتك في الأول ، وقل لي من هي الفتاة التي تحب ؟

كليانت هي فتاة شابّة تقيم منذ مدة قصيرة في هذه الأحياء ،

وكأنها خلقت لتوحي الحب الى كل من يراها . ان الطبيعة يا أختِ لم تكوّن أودع من هذه الفتاة ، ولقد شعرت بذهـول في نفسي وبشيء يختطف قلبي منذ الساعة التي شاهدتها فيهـا . فهي تدعى ماريان وتعيش في كنف أم طيبة ، كثيراً ما تلزم فراشَ المرض تخصها هذه الابنة الوديعة بعواطف شفقة لا يتصوّرها العقل ... فهي تخدمها وتواسيها بحنـان يتفطر له القلب ، وإذا أتت عملاً فانكِ لترين ألفَ شكل من الجمـال يشعّ فيه : عذوبة طافحـة بالجواذب ، وطيبة قلب نادرة ، وخُلُق جميل ... آه ! يا أخت ، لو انك ترينها .

اليز لقد رأيت كثيراً منها فيما تقوله لي ، ولكي أعرف من هي يكفيني انك تحبها .

كليانت ولقد عرفت بطريقة سرية ان اهلها لا يملكون مالاً وفيراً يسدُّون به جميع احتياجاتهم . فتصوّري يا أختِ أية غبطة تستولي على المرء عندما يتمكن من إسباغ وفرة العيش على من يحب ومدّ يد المساعدة لعيلة فاضلة . وتأملي أيّ استياء يشملني عندما أراني تجاه بخل والدي عاجزاً عن تذوّق هذه الغبطة وعن اظهار شواهد حبي لتلك الفتاة الجميلة !

اليز نعم يا أخي ، إني لأتصور جيداً شجونك هذه .

كليانت آه ! يا أخت ، إنها لأكبر مما يتصوّرها انسان . فأيّ شيء أفظع من ذلك الاقتصاد الصارم الذي نعالَج به ، وذلك الجفاف الغريب الذي نعذّب فيه ؟ وما نفع المال والغنى والرزق إذا هي لم تصل إلينا إلاّ في زمنٍ تفوت فيه لذة الاستمتاع ، واذا اضطرتني اليوم الى الاستدانة من جميع الجهات والالتجاء الى التجّار والباعة لأكسو نفسي ؟ لقد أردتُ أن أخاطبك بهذا الشأن لتساعديني على استدراج والدي الى انتشالي مما أنا فيه ، حتى إذا أصرّ على بخله عمدتُ الى هجر هذه البلاد الى ديارٍ أتمتع فيها مع حبيبتي بما تسبغه علينا السماء . ولكي أنفّذ هذا المشروع أعمد الى الاستدانة من أية جهة كانت . وإن كانت حالتك ، يا أختِ ، شبيهةً بحالتي وأصرّ والدي على الحيلولة دون رغبتنا فسنتركه كلانا ونتملّص من ذلك الرقّ الظالم الذي يسمّرنا فيه بخله الذي لا يطاق .

اليز الحقّ يقال انه يضاعف كلّ يوم أسفنا على موت أمّنا وانه ...

كليانت أسمع صوته . فلنبتعد قليلاً لنكمل حديثنا ، ثمّ

نجمع قوانا ونعود إليه نهاجم قساوته وتصلُّبه .

(يخرجان)

المشهد الثالث

هرباغون — لافليش

هرباغون اخرج من هنا ولا تجاوب ! اخرج من عندي يا أستاذ اللصوص ، يا معلم المحتالين !

لافليش « على حدة » لم أرَ في حياتي شرّاً من هذا العجوز اللعين ، وأظنّ أن ابليس يسكن في جسده .

هرباغون ماذا تتمتم بين أسنانك ؟

لافليش لماذا تطردني ؟

هرباغون أتسألني عن السبب أيها الخبيث ؟ اخرج سريعاً أو سحقتك سحقاً .

لافليش ماذا فعلت ؟

هرباغون فعلتَ ، أني أريد أن تخرج من هنا .

لافليش سيدي ، لقد أمرني ابنك أن انتظره هنا .

هرباغون هيّا انتظره في الشارع ، ولا تبقَ مسمّراً في بيتي تراقب ما يجري فيه وتستفيد لنفسك من كل شيء .

لا أريد أن أرى أمامي في كل حين جاسوساً على أعمالي يحاصر بعينيه الملعونتين جميع حركاتي ، يلتهم ما أملك ويراقب من جميع الجهات ليرى ما يسرقه .

لافليش ولكن كيف يستطيع أحد أن يسرقـك ؟ وهل يُسرق من كان مثلك يقفـل على كل شيء ويقف النهار والليل حارساً على مقتنياته ؟

هرباغون أريد أن أقفل على ما أريد وأن أقف حارساً كيفما شئت . انها لوقاحة غريبـة أن يحصي عليّ حركاتي هؤلاء الخدم الملاعين ! « على حدة » أخشى أن يكون اشتبه بي ولاحظ عليّ شيئاً من الدراهم . « عالياً » ألا يمكنك أن تذهب فتشيّع ان لديّ دراهم مخبوءة ؟

لافليش ألديك دراهم مخبوءة ؟

هرباغون لا ، يا عفريت ، لم أقل ذلك . « على حدة » أختنق ! « بصوت مرتفع » سألتك ألا يمكنك ان تعمـد الى طريقة خبيثة فتشيّع ان لديّ دراهم ؟

لافليش هي هي ! ماذا يهمنا ألديك دراهم أم ليس لديـك شيء ما دام الأمر في نظرنا على حدّ سواء ؟

هرباغون أتحلّل ؟ لأكمّن أذنيك بتحليلك هـذا . « يرفع يده ليصفعه » اخرج من هنا لآخر مرّة .

لافليش طيب ، أنا خارج .

هرباغون اصبر . ألم تحمل معك شيئاً من عندي ؟

لافليش ماذا تريد أن أحمل ؟

هرباغون اقترب ، اقترب لأرى . أرني يديك .

لافليش انظرهما .

هرباغون « مشيراً الى سترة لافليش » ألم تخبيء شيئاً هنا ؟

لافليش فتش أنت بنفسك .

هرباغون « يجس أسفل السترة » هذه الجيوب الكبيرة على أتم الاستعداد لتكون مخابيء للأشياء المسروقة . واني لأود أن يجازى صانعها بالشنق .

لافليش « على حدة » آه ! إن رجلاً كهذا يستحق أن يجازى بما يخشى منه على نفسه ! ولكم أفرح لو قُدِّر لي أن أسرقه !

هرباغون هيه !

لافليش ماذا ؟

هرباغون ماذا تقول عن السرقة ؟

لافليش أقول انك تفتش في جميع الجهـات لتتأكد هل سرقتك أم لا .

هرباغون وهذا ما أريد ان أقوم به . « يفتش جيوب لافليش »

لافليش « على حدة » أخذ الطاعون البخل والبخلاء !

هرباغون كيف ؟ ماذا تقول ؟

لافليش ماذا أقول ؟

هرباغون أجل ، ماذا تقول عن البخل والبخلاء ؟

لافليش أقول أخذ الطاعون البخل والبخلاء .

هرباغون ومن تقصد بكلامك هذا ؟

لافليش أقصد البخلاء .

هرباغون ومن هم هؤلاء البخلاء ؟

لافليش هم المناكيد الملاعين .

هرباغون ولكن من تقصد بكل هذا ؟

لافليش وماذا يهمك أنت ؟

هرباغون يهمّني ما يهمني .

لافليش هل ظننت اني أقصدك ؟

هرباغون ظننتُ ما ظننت ، ولكن أريد ان تقول لي من تخاطب بكلامك هذا ؟

لافليش أُخاطب ... قبّعتي .

هرباغون وأنا أستطيع أن أخاطب قبعتك أيضاً. «يهم بضربه»

لافليش أتمنعني من لعن البخلاء ؟

هرباغون لا ، ولكني أمنعك من الهمس الخبيث ومن استعمال الوقاحة . اخرس !

لافليش لم أُسمّ أحداً .

هرباغون اذا فتحت فمك أعصرك عصراً !

لافليش طيّب !

هرباغون أتخرس أم لا ؟

لافليش خرست ، ولكن بالرغم مني .

هرباغون ها ها !

لافليش « يريه أحد جيوب سترته الداخلية » انظر ، هذا جيب آخر . هل اقتنعت الآن ؟

هرباغون هيّا ، ارجعه اليّ من غير ان افتشك .

لافليش ماذا تريد ان أرجع اليك ؟

هرباغون الذي سرقته مني .

لافليش لم أسرق منك شيئاً .

هرباغون صحيح ؟

لافليش صحيح جداً .

هرباغون وداعاً ، فاذهب الى جميع الشياطين .

لافليش هذه طريقة في الطرد لم يسمع بمثلها أحد بعد .

هرباغون بيد أني أضع اللصوص على مسؤولية ضميرك . اخرج !

المشهد الرابع

اليز – كليانت – هرباغون

هرباغون ليس من المشاكل الهيّنة أن يحتفظ الرجل في بيته

بمبلغ كبير من المال ، هذا صحيح ! وسعيد سعيد من يؤمّن على مقتنياته ولا يترك في متناول يده إلاّ ما يحتاج إليه للانفاق ، ولا أرى من الهيّنات أن أخترع في احدى جهات البيت مخبأ أميناً ، فالصناديق الحديدية مشبوهة في نظري ولا أريد ان أتكل عليها ، فهي ولا شكّ طعمٌ للصوص ، فأول ما يهوي عليه هؤلاء هو الصندوق الحديدي . على أني لا أعلم ان كنت قد أحسنت بدفني في الحديقة عشرة آلاف ليرة ذهباً أُرجعت اليّ أمس . عشرة آلاف ليرة ذهباً تحفظ في البيت !.. « يظهر الأخ والأخت يتحدثان بصوت منخفض » أيتها السماء ! لقد خنت نفسي بنفسي ! وأظنني تكلمت عالياً . ماذا ؟

كليانت	لا شيء يا أبي .

هرباغون	أمن زمن طويل أنتما هنا ؟

اليز	لا ، وصلنا الآن .

هرباغون	هل سمعتما...

اليز	ماذا ؟

هرباغون	هنا ...

اليز	ماذا ؟

هرباغون ما قلته الآن ؟

كليانت لا .

هرباغون بلى ، بلى .

اليز عفواً ...

هرباغون أرى جيداً أنكما سمعتما بعض كلمات . كنت أقول في نفسي ان الحصول على المال صعب جداً ، وسعيد سعيد هو الرجل الذي يملك عشرة آلاف ليرة في بيته .

كليانت كنا مترددين في الدخول عليك لئلا نقطع عليك حديثك مع نفسك .

هرباغون يسرّني أن أقول لكما ذلك لكيلا تأخذا المسائل على عكس حقيقتها وتتصوّرا أني أملك عشرة آلاف ليرة !

كليانت نحن لا نتدخل في مسائلك .

هرباغون حبذا لو ملكت عشرة آلاف ليرة !

كليانت لا أعتقد ...

هرباغون إذن كنت سعيداً جداً . فأنا في حاجة الى هذا المبلغ .

كليانت أعتقد ...

هرباغون فهذا المبلغ يصلح حالي .

اليز: انك ...

هرباغون: ولا أعود الى التأسف فأشكو من الزمن .

كليانت: ولكن ، يا أبي ، لا يحق لك أن تتأسف وتشكو ، فنحن لا نجهل انك غنيّ تملك كثيراً من الدراهم .

هرباغون: ماذا ؟ أملك كثيراً من الدراهم ! كذب من يقول هذا وليس أكذب من قائله . وما إخالهم إلا لصوصاً عفاريت هؤلاء الذين يروّجون مثل هذه الاشاعات .

اليز: لا تغضب . لا تستسلم الى الغضب .

هرباغون: غريبٌ عجيب ان يخونني ابنائي ويصبحوا أعدائي !

كليانت: أنكون أعداءك اذا قلنا انك تملك مالاً ؟

هرباغون: أجل ، فمثل هذه الاشاعات والدراهم التي تنفقها ستكون سبباً لتنبيه اللصوص فيدخلون عليّ ويذبحون حنجرتي لاعتقادهم اني مبطن بالدراهم .

كليانت: أين هي الدراهم التي أنفقها ؟

هرباغون: أين ؟ وهل هناك مثلٌ اسوأ من هذا اللباس الفخم الذي تطوف به في المدينة ؟ كنت أمس أخاصم أختك لهذا السبب نفسه ، ولكنك أسوأ منها ، أنت ! ان السماء تصرخ الانتقام مما تفعل ، ولو أحصيت ثمن القطع التي تغلّف بها هيكلك من

الرأس الى القدم لبلغت ثروة كاملة . قلت لـك عشرين مرة ، يا ابني ، ان جميع تصرّفاتك تغيظني ، فلا شك انك تسرقني لتستطيع الظهور بهذه البهرجة .

كليانت ‏ هه ! كيف أسرقك ؟

هرباغون ‏ لا أعلم . ولكن كيف تستطيع الظهور بهذا المظهر ؟

كليانت ‏ أنا يا أبي ؟ إني ألعب ، وبما اني كثير السعـد أخلع على نفسي جميع الدراهم التي أكسبها .

هرباغون ‏ انك تسيء صنعاً . فلئن كنت سعيـداً في اللعب فيجب عليك أن تستفيد منه وان تضع المال الذي تكسبه في فائدة شريفة لكي تجده عندما تحتاج إليه . ثم اني أريد أن أفهم أية فائـدة من جميع هذه الشرائط التي تزخرف بهـا قامتك من الرأس الى القدم ؟ ألا يوازي ثمن هذه الشرائط مائتي فرنك ؟ ومائتا فرنك تدرّ عليك في السنة ، اذا لم تتقاضَ فائدة عليها إلا ثمانية في المئة ، ستة عشر فرنكاً .

كليانت ‏ الحق في جانبك .

هرباغون ‏ لندع ذلـك الآن ولنتكلم عن شيء آخر . أوه ! أظنهما يتفاهمان على سرقة كيسي . ماذا تقصدان بهذه الحركات ؟

اليز ‏ كنا نتساءل ، أخي وأنا ، من يبدأ الكـلام في

الأول ، فلدينا شيء نقوله لك .

هرباغون وأنا أيضاً لديّ شيء أقوله لكما جميعاً .

كليانت نرغب يا أبي ان نكلمك في أمر زواج .

هرباغون وأنا أيضاً أُريد أن أبحث معكما في أمر زواج .

اليز آه ؟

هرباغون لماذا تصرخين ؟ هل خشيتِ من الكلمة أم من الشيء ؟

كليانت ان الزواج يخيف كلاً منا بالشكل الذي تفهمه أنت ، فنخشى أن لا تتفق عواطفنا والشخص الذي تختاره .

هرباغون قليلاً من الصبر ، ولا تخشيا شيئاً . فأنا أعرف ما يصلح لكل منكما ولن تجدا مجالاً للاعتراض على أية مسألة أعرضها . « لكليانت » قل لي : أرأيت فتاةً تدعى ماريان تقيم على مقربة من هنا ؟

كليانت نعم يا أبي .

هرباغون « لاليز » وأنت ؟

اليز سمعتُ بها .

هرباغون « لكليانت » كيف ترى هذه الفتاة يا ابني ؟

كليانت ساحرة جذابة .

هرباغون وكيف ترى خلقتها ؟

كليانت رائعة تطفح ذكاء .

هرباغون هيئتها وحركاتها ؟

كليانت بديعة ولا شك !

هرباغون ألا تظن ان فتاة كهذه تستحقّ ان يُهتمّ بها ؟

كليانت دون ريب .

هرباغون وانها قسمة يتمناها أيّ كان ؟

كليانت أيّ كان .

هرباغون وان قوامها يشير الى انها ستكون امرأة بيت ؟

كليانت لا شك في ذلك .

هرباغون على ان هناك صعوبة صغيرة وهي اني أخشى أن لا يكون في يدها كلُّ المال الذي أتمناه .

كليانت آه ! لا يُذكر المال عندما يكون الأمر متعلقاً بالزواج من ابنة شريفة .

هرباغون عفواً ، عفواً ! ولكن أقصد بقولي هذا انه اذا لم تكن مالكة كل المال الذي أتمناه نستطيع أن نعوض عنه بشيء آخر .

كليانت مفهوم .

هرباغون اذن أراني فرحاً بموافقتك اياي على شعوري ، فقوامها الشريف وعذوبتها ملكا نفسي ، وقد صحّت عزيمتي على التزوج منها بشرط أن لا تكون فارغة اليد.

كليانت أوه!

هرباغون كيف ؟

كليانت على ماذا صحت عزيمتك ؟..

هرباغون على التزوج من ماريان .

كليانت مَن ، أنت ؟ أنت ؟

هرباغون أجل ، أنا ، أنا ، أنا . ماذا تقصد بذلك ؟

كليانت لا أقصد شيئاً . ولكن استولى عليَّ ذهولٌ فجائي ، وها أنا منصرف من هنا .

هرباغون لا بأس ، فاخرج سريعاً وخذ لك من المطبخ قدح ماءٍ صافٍ . «لاليز» هذا ، يا ابنتي ، ما عزمت عليه . أما أخوك فقد فكرت لأجله في أرملة حُدِّثت عنها هذا الصباح . وأما أنت فسأعطي يدك للسيد انسيلم .

اليز للسيد انسيلم ؟

هرباغون أجل ، وهو رجل ناضج ، حكيم ، عاقل ، لم يجاوز الخمسين من العمر ، ويقال انه يملك ثروةً طائلة .

اليز «تنحني أمام والدها» لا أريد أن أتزوج يا والدي ... أرجوك .

هرباغون «ينحني مثلها ولكن الى الوراء» وأنا يا ابنتي الصغيرة ، يا صديقتي ، أريد أن تتزوجي ... أرجوك .

اليز	أطلب منك المعذرة يا أبي .
هرباغون	وأنا أطلب منك المعذرة يا ابنتي .
اليز	اني خادمة وضيعة للسيد انسيلم ، ولكن اسمح لي أن لا أتزوجه .
هرباغون	وأنا خادمك الوضيع ، ولكن اسمحي لي ان تتزوجيه منذ هذا المساء .
اليز	هذا المساء ؟
هرباغون	هذا المساء .
اليز	هذا لن يكون يا أبي .
هرباغون	بل سيكون يا بنتِ .
اليز	لا .
هرباغون	بلى .
اليز	قلت لك لا .
هرباغون	قلت لكِ بلى .
اليز	هذا أمرٌ لا تقوى عليه .
هرباغون	بل هذا أمرٌ أقوى عليه .
اليز	أفضل أن أنتحر على أن أتزوج رجلاً كهذا .
هرباغون	لن تنتحري وستتزوجينه . ولكن ما هذه الوقاحة ؟ هل رأى أحدٌ ابنة تجاوب أباها بهذا الشكل ؟
اليز	وهل رأى أحدٌ والداً يزوج ابنته بهذا الشكل ؟

هرباغون هذا نصيبٌ لا يقبل الاعتراض ، وأُراهن على ان جميع الناس يوافقونني عليه .

اليز وأنا أُراهن على انك لن تجد أحداً من العقّال يوافقك .

هرباغون « يرى فالير من بعيد » هوذا فالير . أتريدين أن نجعله حكَماً بيننا ؟

اليز أوافق .

هرباغون وهل تقنعين بحكمه ؟

اليز نعم أقنع بكل ما يقول .

هرباغون إذاً تم كلُّ شيء .

المشهد الخامس

فالير – هرباغون – اليز

هرباغون الى هنا ، فالير . لقد انتخبناك لتقول لنا من المصيب ، ابنتي أم أنا .

فالير أنت يا حضرة السيد ، أنت بلا منازع .

هرباغون هل عرفت عمّ نتكلم ؟

فالير لا ، ولكن لا يُمكن أن تخطىء ، فأنت كلك عقل .

هرباغون أريد أن أزوجها ، هـذا المساء ، من رجل حكيم وغنيّ معاً والعفريتة تقول لي انها تهزأ به ولا تريده ، فما قولك في ذلك ؟

فالير ما قولي في ذلك ؟

هرباغون نعم .

فالير يه يه !

هرباغون ماذا ؟

فالير أقول اني من رأيـك مبدئياً ، فأنت لا تستطيع ان لا تكون مصيباً ، ولكنها كذلك ليست مخطئة بدورها ...

هرباغون كيف ؟ ان السيد انسيلم نصيب لا يستهـان به ، فهو شريف من الاشراف ، عذب الاخلاق ، عاقل ، غني ، ولم يبقَ لديه أحد من الأبنـاء الذين رزقهم من زواجه الأول . فهـل تقع ابنتي على نصيب اولى من هذا ؟

فالير هذا صحيح . ولكنها قد تستطيع ان تقول لـك انك تسرع في القضية ؛ وان المسألة تحتـاج على الأقل الى بضعة ايام تتمكن في خلالها من استشارة نفسها وذوقها ...

هرباغون ولكنها فرصة يجب أن تؤخذ بسرعـة من شعرها

لئلا تفلت . فاني ارى في القضية امتيازاً لا أراه في مكان آخر ، فالسيد انسيلم يتزوجها دون مهر .

فالير دون مهر ؟

هرباغون أجل .

فالير آه ! لم يبقَ بوسعي ان اقول كلمة . فالحجة مفحمة لا تقبل الاعتراض .

هرباغون ولا تنسَ ان في هذا الزواج توفيراً كبيراً عليّ .

فالير لا اعتراض على ذلك . قد تستطيع ابنتك ان تقول لك ان الزواج هو أعظم المسائل التي يتصوّرها الانسان ، لأن الشقاء والسعادة يتوقفان عليه ، وان عهداً يعطى الى الأبد يجب ان يفكر في أمره طويلاً قبل اعطائه .

هرباغون « دون ان يصغي الى فالير » بدون مهر !

فالير صدقت . وفي هذا قطع كل اعتراض . قد يكون ثمة من يقول لك ان ميل الابنة في مثل هذه الظروف لمن المسائل التي يجب ان تراعى ، وان تفاوتاً في العمر مثل هذا واختلافاً في الذوق والشعور يجعلان الزواج عرضةً لحوادث مكدّرة .

هرباغون بدون مهر !

فالير آه ! لا اعتراض على ذلك ، ومن يعترض على ذلك ؟

هناك عددٌ كبير من الآباء يؤثر مراعاة شواعر بناته على المال الذي يعطيه ، ولا يضحي بهنّ في سبيل الفائدة المادية ، بل يبحث أولاً عمّا يجعل الزواج شريفاً ، هادئاً ، فرحاً ...

هرباغون بدون مهر !

فالير صحيح . هذا يطبق فم أيّ كان . بدون مهر !

هرباغون « ينظر الى جهة الحديقة — على حدة — » يه ! يخيّل إليّ اني أسمع كلباً ينبح . أترُى هناك من يرغب في دراهمي ؟ « لفالير » لا تتحرك فأنا عائد . « يخرج »

اليز أتهزأ يا فالير في مخاطبتك اياه بهذا الشكل ؟

فالير لقد لجأت الى هذه الوسيلة لأستطيع الوصول الى النتيجة ، وقد اتضح لي ان مجابهة ميوله تعرقل القضية دون فائدة . فثمة عقولٌ لا تؤخذ الا بوسائل معكوسة ، فهي كثيراً ما تأبى الاقتناع بالحقيقة وتأنف الطريق القويم ؛ ومثل هذه العقول لا تؤخذ بسوى المداراة . فتظاهري بالنزول على كل ما يريد لتصلي الى النتيجة التي تسعين وراءها . واذا ...

اليز ولكن هذا الزواج ، يا فالير ؟

فالير سنبحث عن وسيلة نبطله بها .

اليز وأية وسيلة نجد ما دام سيعقد هذا المساء؟

فالير يجب ان تطلبي فرصة وأن تتظاهري بأنك مريضة .

اليز ولكن اذا جيء بالأطباء لا يلبث أمري ان ينكشف .

فالير أتسخرين ؟ وهل يفهم هؤلاء الأطباء شيئاً ؟ هيًّا ، هيًّا ، تستطيعين مع هؤلاء ان تختاري اي مرض يحلو لك فيجدوا ألف سبب ليقولوا لك من أين جاءَ هذا المرض .

هرباغون « من الخارج » لا شيء . الحمد لله !

فالير واذا لجأنا الى الهرب لا يلبث أمرنا أن ينفضح . وان كان حبك يا جميلتي اليز يستطيع ان يقوى ... « يرى هرباغون » نعم ، يجب على الابنة ان تطيع والدها ، وان لا تنظر الى الزوج كيف هو . ومتى كان الأمر بلا مهر فينبغي لها ان تنزل على كل ما يشار إليها به .

هرباغون هذا كلام جميل .

فالير عفوك يا سيدي اذا رأيتني أخاطبها بهذه اللهجة القاسية .

هرباغون كيف ؟ بل أنا مسرور جداً ، وأريد أن تتخذ لنفسك عليها السلطة المطلقة . نعم ، كان بودكِ ان

تهربي ، واني لأمنحه السلطة التي منحتني اياها السماء عليك ، وأريد ان تعملي بحسب مشيئته .

فالير سيدي ، أود أن ألحق بها لأكمل الأمثولة التي كنت ألقنها اياها .

هرباغون حسناً . أشكرك .

فالير يجمل بنا ان لا نرخي لها الشكيمة .

هرباغون الحق في جانبك . يجب ...

فالير لا تتعب نفسك ، ودعني أنهي المسألة .

هرباغون إفعل ، إفعل . أنا ذاهب الى المدينة أجول جولتين وأعود بعد هنيهة .

فالير نعم . ان الدراهم لأثمن شيء في العالم ، ويجب عليك ان تحمدي السماء على الوالد الشريف الذي منحتكَ اياه . فهو يعرف قيمة الحياة ، وكيف ينبغي للمرء ان يعيش . عندما يتقدم للزواج امرؤ لا يريد مهراً لا يبقى مجال للاعتراض والتفكير . فكلمة بدون مهر تحل محلّ كل شيء ، محلّ الجمال والشباب والاسرة والشرف والحكمة والتعقل .

هرباغون آه ! إنك لفتىً باسل ! وكلامك هذا كالأعجوبة . سعيدٌ سعيد من يستطيع ان يحصل على خادم من هذا النوع .

الفصل الثاني

المشهد الاول

كليانت – لافليش

كليانت آه يا خائن ! الى أين ذهبت ؟ ألم أعطِك أمراً...

لافليش نعم يا سيدي ، وكنت جئت الى هنا لأنتظرك ، على ان سيدي والدك طردني بالرغم مني ، ولولا قليل لكان ضربني .

كليانت الى أين وصلت مسألتنا ؟ فالوقت أصبح ضيقاً علينا ، ومنذ أن رأيتك للمرة الأخيرة اكتشفت ان والدي يزاحمني .

لافليش والدك عاشق ؟

كليانت نعم ، ولقد شقيتُ كثيراً باخفائي عنه تأثير هذا النبإ فيّ .

لافليش هو عاشق ! ماذا يقصد بذلك ؟ أيريد أن يسخر من الناس ؟ وهل خلق الحب لمن كان على شاكلته ؟

كليانت	لا شك ان ذنوبي هي التي أوحت اليه هذا الغرام .

لافليش	ولكن لأي سبب شئت ان تحجب عنه حبك ؟

كليانت	لكي أخفف من شكوكه واستطيع في وقت الحاجة ان احول دون زواجه . ماذا كان الجواب ؟

لافليش	وحقك يا سيدي ، ان الذين يستدينون هم أشقى الناس ، ويجب على من كان مثلك مضطراً الى الوقوع بين أيدي المرابين ان يقاسي أشياء فظيعة ، هائلة !

كليانت	إذاً فالمسألة لن تنجح ؟

لافليش	عفواً . ان العمّ سيمون ، السمسار الذي هُدينا اليه ، رجلٌ نشيط ، غيور ، مخلص ، ولقد قال لي انه سعى لأجلك كثيراً ، وأكّد ان هيئتك وحدها تملك قلبه .

كليانت	المسألة ناجحة اذاً ، وسأحصل على الخمسة عشر الف فرنك ؟

لافليش	نعم ، ولكن ببضعة شروط صغيرة ينبغي لك أن ترضى بها اذا شئت ان تتمّ الصفقة .

كليانت	وهل مضى بك الى الرجل الذي سيدينك المبلغ ؟

لافليش	ان الأمور لا تجري على هذا الشكل ، وحضرته يعلّق على التكتم من الأهمية أكثر مما تعلّق أنت ،

فثمة أسرار أكبر مما تظن ، ولا يريـد الدائن ان يجاهر باسمه ، بل يريد ان يجتمع بك في بيت مستعار ليستعلم من فمك عن ثروتك وأهلك . وأظن ان اسم والدك وحده كافٍ لتسهيل القضية .

كليانت نعم ، ولا تنسَ ان الـثروة التي ورثتها عن أُمي كافية أيضاً .

لافليش اليك الآن بضع تعليمات أملاها بنفسه على سمسارنا لتطّلع عليها قبل ان يُعقد أي اتفاق : « على افتراض ان الدائن وثق من التأمين على المبلغ وان المَدين كان راشداً ومن عيلة ذات ثروة كبيرة ، محققة ، واضحة لا تنازع عليها ، فان الدائن والمدين يعقدان سنداً يسجلانه أمام كاتب عـدل يكون أشرف الرجال جميعاً ويختاره الدائن لا المدين . »

كليانت لا اعتراض على هذا .

لافليش « ... ولكيلا يحمّل الدائن ضميره يتقاضى فائـدة ستة بالمائة . »

كليانت ستة بالمائة ؟ انها لفائدة معقولة ، ولا أرى مجـالاً للاعتراض .

لافليش هذا حق . « ولكن بما ان الدائن المذكور لا يملك في حوزته المبلغ المطلوب ، وبما انه يريد ان يؤدي

خدمة الى المدين ، فسيضطر هو نفسه الى استدانة المبلغ من آخر بفائدة عشرين بالمائة ، وهذه الفائدة يدفعها المدين من غير أن يتذمر لأن الدائن لن يقدم على استدانة المبلغ إلا ليؤدي خدمة الى المدين . »

كليانت — يا لابليس ! ما هذا اليهودي ؟ يريد ستة وعشرين بالمائة ؟

لافليش — كل ما أقوله لك صحيح ، فما عليك إلا ان تتدبر أمرك .

كليانت — كيف تريد أن أتدبر أمري ؟ اني بحاجة الى المال ، ويجب عليّ ان ارضى بكل شيء .

لافليش — هذا هو الجواب الذي أعطيته .

كليانت — وهل هناك شيء آخر ؟

لافليش — لا تزال ملاحظة صغيرة واحدة : « لا يستطيع الدائن ان يدفع إلا اثني عشر الف فرنك ، أما الثلاثة الآلاف الباقية فينبغي للمدين أن يأخذ عوضاً عنها ثياباً وأمتعة وضعها الدائن بأسعار متهاودة جداً . »

كليانت — ماذا يعني كل هذا ؟

لافليش — اسمع أسماء الأمتعة : « سرير ذو أربع أقدام له شرائط ولحاف بلون الزيتون ومعه أربعة كراسي ثم كلة مربوطة بقدد من الحرير . »

كليانت — ماذا يريد أن أصنع بهذه الأشياء ؟

لافليش إصبر . « ثم منضدة كبيرة من خشب الجوز ذات اثنتي عشرة قدماً تُفتح من الطرفين . »

كليانت ماذا أَصنع بها ؟.. يا لابليس !

لافليش بهوادة ، بهوادة . « ثم ثلاثة سيوف مبطنة بصدف اللؤلؤ . »

كليانت أَختنق !

لافليش بهوادة ، بهوادة . « ثم ربابة بجميع أوتارها، وطاولة زهر لقتل الوقت ، وجلد أفعى محشوٌ تبناً يبلغ طوله ثلاث أقدام ونصف قدم يجمل تعليقه على الجدار ، فوق الباب . وهذه الأمتعة تساوي أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة فرنك ولم يخفّض ثمنها الى ثلاثة آلاف الا اكراماً للمدين . »

كليانت خنقه الطاعون هو وكرم أخلاقه ، ذلك الخائن ، الجلاد ! هل سمع احدٌ بربا كهذا ؟ أَولم يقنع بالفائدة الفظيعة التي يطلبها حتى يريد أن يحمّلني شراء سلعٍ رثة بثلاثة آلاف فرنك ؟ ولكنّ الحاجة توغمني على القبول وان يكن خنجر هذا السفاك على حنجرتي .

لافليش اني أراك تسلك الطريق نفسها التي سلكها العمّ بانورج ليؤدّي بنفسه الى الدمار ، فقد كان العمّ

بانورج يستدين الدراهم فيشتري بأسعار غالية ويبيع بأسعار بخسة .

كليانت ماذا تريد أن أصنع ؟ تلك هي حالة الأبنـاء التي يوصلهم اليها بخلُ آبائهم ، ويُستغرب بعد ذلك ان يتمنى الأبناء موت آبائهم على هذه الشاكلة .

لافليش الحقّ يقال ان والدك يمتاز عن جميع الآباء البخلاء بأشنع ما في البخل من الصور . وأعترف لك بأن بخله يوحي إليّ أن اسرقه ، واعتقد ان من يسرق أباك يأتي عملًا فاضلًا .

كليانت هات الملاحظات التي في يدك لأتفحصها قليلًا .

المشهد الثانى

العم سيمون – هرباغون – كليانت – لافليش

العم سيمون نعم يا سيدي ، هو فتىً في حاجـة الى دراهم . وموقفـه الحرج يقضي عليه بالنزول على جميـع شروطك .

هرباغون ولكن ، يا عم سيمون ، أتعتقـد اني لا أكون في

خطر ؟ وهل عرفت اسم الفتى الذي تكلمني عنه واسم عيلته ومقدار ثروته ؟

العم سيمون لا . لا أستطيع أن أُفيدك عن شيء من ذلك ، ولكن الوسيط أكد لي انك ستسرّ به عندما تتعرّف اليه . وكل ما أستطيع أن افيدك عنه هو ان اهله اغنياء جداً وان والدته ماتت وانه يتمنى أن يموت والده من الآن الى ثمانية أشهر ... اذا شئت حضرتك .

هرباغون طيب ... طيب ! ان الشفقة ، يا عم سيمون ، تضطرنا ان نحسن الى الأشخاص عندما نتمكن من ذلك .

العم سيمون هذا متفق عليه .

لافليش «لكليانت» ماذا يعني هذا ؟ عمنا سيمون يخاطب والدك .

كليانت أتراه عرف من أنا ؟ وهل عمدت الى خيانتي ؟

العم سيمون آه ! آه ! انك شديد التسرع ! فمن قال لك ذلك ؟ ثم ليس أنا الذي كشف اسمك ومقرّك . ولكن يظهر لي ان الأمر ليس على ما نظن ، فحضرتهما متكتمان وربما تفاهمتم الآن .

هرباغون كيف ؟

العم سيمون حضرته هو الرجل الذي يريد ان يدينك الخمسة عشر
الف فرنك التي كلمتك عنها .

هرباغون كيف يا أحمق ؟ أأنت الذي يسلك هذا المسلك
المجرم ؟

كليانت ماذا يا والدي ؟ بل أنت الذي يسلك هذا المسلك
المعيب . «العم سيمون يهرب»

هرباغون أأنت الذي يريد ان يهدم نفسه بديون مجرمة ؟

كليانت أأنت الذي يبحث عن الغنى من وراء الربا الشائن ؟

هرباغون أتجرؤ بعدُ أن تظهر أمامي ؟

كليانت أتجرؤ بعدُ أن تظهر أمام الناس ؟

هرباغون قل لي ، ألا تخجل من الالتجاء الى هذه الوسائل
المنحطة ، ومن الانغماس في التبذير المخيف ،
وتبديد ثروة أهلك التي جنوها بعرق الجباه ؟

كليانت وأنت ألا تخجل من تلويث سمعتك بالوسائل التي
تلجأ اليها ، والتضحية بالشرف لأجل الدرهم وفي
سبيل ثروة تبنيها على طرق من الاجحاف المعيب
لم تخطر في مخيلة أشهر المرابين ؟

هرباغون اخرج من هنا يا أحمق ! انخسف عن نظري !
انخسف عن نظري !

كليانت من تراه أشدّ جرماً ، الذي يستدين مالاً هو بحاجة

اليه ، أم الذي يسرق مالاً لا يُفيده ؟

هرباغون — قلت لك انخسف من هنا ! « وحده » لم يضرّ بي هذا الحادث ، فقد نبهني الى أن أقف بالمرصاد لجميع حركاته .

المشهد الثالث

فروسين – هرباغون

فروسين — سيدي ...

هرباغون — انتظري هنيهة . « على حدة » يجب أن أتفقد دراهمي . « يخرج »

المشهد الرابع

لافليش – فروسين

لافليش — الحادث مضحك جداً ، فلا ريب أن هناك حانوتاً ملآن بضاعة .

فروسين — هه ! أأنت يا لافليش ؟ من أين قادم ؟

لافليش — آه ! آه ! فروسين ؟ ماذا جئتِ تفعلين هنا ؟

فروسين	ما تعوّدت أن أفعله في كل مكان : القيام بشتى الأعمال ، وتأدية الخدمات الى الناس ، والاستفادة بقدر المستطاع من المواهب الصغيرة التي في دماغي. فأنت تعلم ان المرء في هذا العالم لا يستطيع أن يعيش دون دهاء . وان السماء لم تدّخر لمن كان مثلي الا فنّ الدسّ والخزعبلات .

لافليش	أَلديك متاجرة مع رب البيت ؟

فروسين	نعم ، فاني أقوم له بخدمة صغيرة أتوقع منه جزاءً عليها .

لافليش	منه ؟ ستكونين حاذقة جداً اذا استطعتِ سبيلاً الى فتح يده ، ولا بدّ لي ان انبهك ان الدراهم غالية جداً في هذا البيت .

فروسين	ثمة خدمات تثمر بنجاح كبير .

لافليش	أنا خادمك . فأنتِ لم تعرفي بعد السيد هرباغون ، فهو من بين جميع الناس الانسان الأقل انسانية ، ومن بين جميع المائتين المائتُ الأشدّ تصلباً وضغطاً ، فما من خدمة تتمكن من انزاله على تقديرها بفتح يده . أما الثناء ، ومظاهر الاحترام ، وكرم الحديث ، وإبداء العطف ، فهو يكيلها بغير حسابٍ ، واما الدراهم فلا شأن لأحد بها . وليس أجفّ من مظاهر

لطفه وكرم أخلاقه ، فضلاً عن ان كلمة « اعطي » لها في نفسه وقعٌ يختلف عنه في سائر النفوس حتى انه لا يقول البتة : « أعطيك » بل يقول : « أعيرك صباح الخير . »

فروسين — يا الله ! ولكن لي طريقتي في استدراج الناس الى ان يفتحوا لي قلوبهم وأعرف جيداً الوسائل الناجعة للولوج الى مشاعرهم .

لافليش — سخافات ! ما من وسيلة تنجح في هذا المكان . وأؤكد لكِ انكِ لن تستطيعي سبيلاً للبلوغ الى مشاعر صاحبنا ان كان للأمر علاقة بالدراهم . فهو رجل يعشق الدراهم عشقاً بل يعبدها عبادة ، وثقي ان المال في نظره أفضل من الشرف ومن أي شيء آخر . وقصارى الكلام ان مرأى الطالب يوقعه في دوارٍ مزعج ، ويطعنه في صميمه ، ويخترق قلبه ، وينتزع أحشاءَه ، واذا ... ها هو عائد ، فلأنصرف .

المشهد الخامس

هرباغون — فروسين

هرباغون — « بصوت منخفض » كلٌّ سائر بحسب النظام . « عالياً » إذاً ! ماذا يا فروسين ؟

فروسين	آه ! يا الله ! انك تتمتع بصحة جيدة جداً ! وارى على وجهك سيماءَ نشاطٍ وقوّة !

هرباغون	من ، أنا ؟

فروسين	لم يسبق لي قبل الآن ان رأيت عليك مثل هذا الرواء !

هرباغون	صحيح ؟

فروسين	لم يسبق لك في حياتك ان كنت شاباً كما انت اليوم . وأعرف عدداً كبيراً من الشبان في الخامسة والعشرين أكثر شيخوخة منك .

هرباغون	بيد اني في قلب الستين يا فروسين .

فروسين	ولكن ما همّك من الستين ؟ وأيّ خوف عليك من الستين ؟ ان الستين زهرة الحياة ، وهي أجمل فصل من فصول البشر .

هرباغون	صدقتِ ، ولكنّ عشرين سنة الى الوراء لا تسيء إليّ ، على ما أظن .

فروسين	أتهزأ ؟ على اني لا أراك بحاجة الى ذلك ، ولا إخالك الا عائشاً مئة سنة .

هرباغون	أتعتقدين ذلك ؟

فروسين	دون ريب . فكلّ ما فيك يشير اليه . استقم قليلاً لأرى . أوه ! أرى بين عينيك علامة الحياة الطويلة !

هرباغون أتفهمين هذه المصلحة أنتِ ؟

فروسين جداً . ارني يدك . آه ! يا الله ! خط الحياة !

هرباغون كيف ؟

فروسين ألا ترى الى أين يصل هذا الخط ؟

هرباغون وما يعني هذا ؟

فروسين وحقك ! قلت مئة سنة ، ولكنك ستجتاز المئة والعشرين !

هرباغون أيمكن ذلك ؟

فروسين يجب ان تصدق ما أقوله لك وأن تتأكد انك ستدفن في التراب أبناءَك وأبناءَ أبنائك .

هرباغون لحسن الحظ ! الى أين وصلت قضيتنا ؟

فروسين أيحتاج الأمر الى سؤال ؟ وهل رأيتني أتدخل في مسألة ولا أصل فيها الى النهاية ؟ لديَّ في أمور الزواج موهبة ممتازة ، ولا أظن ان في العالم نصيباً لا أستطيع ان أقبض عليه بوقت قصير ، وأعتقد أنني لو فكرت يوماً في تزويج سلطان تركيا من جمهورية البندقية لتمَّ لي ذلك . اما قضيتك أنت فلم تكن بحاجة الى جهود كبيرة . فلقد خاطبتُ الأمَّ بشأن ماريان واطلعتها على ميلك اليها كما أني اطلعت ماريان على ذلك ...

هرباغون	وماذا قالت الأمّ ؟

فروسين	لقد تلقت الخبر بفرح شديد ، وعندما قلت لها إنك ترغب جداً في أن تحضر ابنتها عقد زواج ابنتك هذا المساء قبلت بطيبة خاطر وعهدت بها اليّ .

هرباغون	انا مضطر ان أُعدّ عشاء للسيد انسيلم ، وأكون مسروراً اذا حضرت ماريان هذه الوليمة .

فروسين	الحق في جانبك . فينبغي لها بعد الغداء ان تزور ابنتك ثمّ تجولان جولة في السوق وتعودان معاً الى هنا .

هرباغون	إذاً ، ستذهبان معاً في مركبتي التي أعيرهما اياها .

فروسين	هذا ما يجب ان يكون .

هرباغون	ولكن ، يا فروسين ، هل بحثتِ مع الأمّ في ما يتعلق بالمبلغ الذي تستطيع ان تعطيه لابنتها ؟ وهل قلتِ لها انه ينبغي ان تمدها بمساعدة مالية ؟ فأنتِ لا تجهلين ان المرء لا يتزوج فتاة من غير ان تحمل اليه بعض الشيء .

فروسين	كيف ؟ هي ابنة تحمل اليك مدخولاً سنوياً قدره اثنا عشر ألف فرنك !

هرباغون	اثنا عشر ألف فرنك !

فروسين	نعم . فهي ابنة تعوّدت العيش باقتصاد كلي ، فلا

تأكل الا الحليب والجبنة والبطاطا والسلطة ، ولا تحتاج الى مائدة فخمة ولا الى خمر ولا الى شيء مما تطلبه غيرها من النساء . ولا اظنك تجهل ان هذا كله يوفر ثلاثة آلاف فرنك في السنــة . فضلاً عن انها لا تطمع في شيء من البهرجـة ، فهي لا تحب الأردية الفضفاضة ولا الجواهر ولا الأمتعة الفخمة . وهذا كله يوفر اربعة آلاف فرنك في السنــة . ثم انها تمقت اللعب مقتاً شديداً ، وهـذه الخطة قد لا تجدها في امرأة من نساء هذا الزمن . واني لأعرف واحدة تقيم بحيّنا خسرت أخيراً عشرين ألف فرنك في ليلة واحدة . فإذا أضفنا ربع هذه القيمة ، اي خمسة آلاف فرنك ، الى اربعة آلاف فرنك الموفرة في الثياب والجواهر والى الثلاثة آلاف فرنك الموفرة في الطعام يكون المجموع اثني عشر ألف فرنــك في السنة .

هرباغون لا بأس بذلك ، ولكنّ حسابك هـذا لا يفيدني الفائدة المطلوبة . فليس في هذا كله شيء راهن .

فروسين عفواً . ألا ترى فائدة راهنة في ان تتزوج فتــاة قانعة ، ورثت في الدم الميل الى البساطة الكليــة والكره الشديد للمقامرة ؟

هرباغون	انها لسخرية مضحكة ان يتألف مهرها من النفقات التي لا تقوم بها . فأنا لا أقنع بالذي لا اقبضه ، ويجب أن ألمس شيئاً بيدي .
فروسين	يا الله ! ولكنك ستقبض اشياءَ كثيرة . فلقد خاطبتني أمها بشأن بلاد لها فيها أملاك واسعة ستكون أنت وليّها .
هرباغون	يجب ان أتحقق ذلك . ولكن لا يزال هناك أمرٌ يقلق نفسي . فالفتاة شابة كما ترين ، والشباب تعوّد ان لا يحب الا شباباً مثله . فأخشى ان لا يروقها رجلٌ في عمري فتجري في بيتي مشاكل لا ترضيني .
فروسين	هذا برهان على انك لم تفهمها ! ولو لم تقاطعني لذكرتُ لك خاصية فيها تمتاز فيها عن سائر الفتيات . فهي تكره الشبان كرهاً شديداً ولا تحب الا العجائز .
هرباغون	هي ؟
فروسين	نعم ، هي . وأودّ لو سمعتها تتحدث بهذا الموضوع . فهي لا تتحمل رؤية شاب ، وكثيراً ما سمعتها تقول ان أجمل مشهد يسحرها هو ان ترى شيخاً جميلاً ذا لحية وقورة . وان أكبر الناس سنّاً هم في نظرها أشدّهم جاذباً . وأنبهك الى ان لا تظهر نفسك بمظهر أقل شيخوخة مما أنت فيه ، فماريان

لا تطيق زوجاً دون الستين ، ومنذ أربعة أشهر كانت على وشك ان تتزوج ، الا انها لم تلبث ان عدلت عن الزواج عندما اتضح لها ان عشيقها لم يجاوز السادسة والخمسين من عمره ، وعندما رأته يوقع على عقد الزواج من غير ان يضع نظارات على عينيه .

هرباغون: عدلت عن الزواج لهذا السبب فقط ؟

فروسين: نعم . فهي تقول إنها لا تكتفي بست وخمسين سنة ، ولا ترغب في الانوف التي لا تحمل نظارات .

هرباغون: غريب عجيب ! هذه حكاية جديدة !

فروسين: بل هناك أشياء أغرب من هذه . فإذا دخلتَ خدرها وقع نظرك على صور وتماثيل . ولكن ما ظنك في هذه التماثيل والصور ؟ أتظنها تمثل ادونيس وسيفال وبارس وابولون ؟ لا ، بل تمثل ساتورن والملك بريام والعجوز نسطور والأب انشيز محمولاً على كتفي ابنه .

هرباغون: هذا مدهش ! لم يخطر قط في بالي ان أسمع بمثل هذا . واني لمسرورٌ جداً ان تكون على هذه الشاكلة ، فلو كنت انا بدوري امرأة لما أحببت الشبان .

فروسين لا ريب في ذلك . ان الميل الى الشبان سخافة مضحكة . ولا أرى في حب هؤلاء شيئاً من الذوق .

هرباغون وأنا كذلك . لا أفهم ماذا ترى النساء في الشبان واي شيء فيهم يحببهنّ بهم الى هذه الدرجة .

فروسين لا يحبّ الفتيان إلاّ النساء المجنونات . وهل من العقل في شيء أن يُرى الشباب جميلًا ؟ وهل هم رجالٌ هؤلاء الفتيان الشقر ؟ أيستطيع المرءُ أن يتكل على هذه الحيوانات ؟

هرباغون هذا ما أقوله كل يوم . ماذا يرجى من سحناتهم المخنّثة ، وذقونهم المقصورة على شعرتين أو ثلاث منتصبة في الجو كذقون القطط ، وقمصانهم المنتفخة الى الامام ؟

فروسين أما أنت ... فتملأ النظر والقلب . وهكذا يجب على المرء ان يكون وان يلبس ليوحي الحب .

هرباغون أتوينني كما ينبغي أن أكون ؟

فروسين انك لتسحر سحراً ! ووجهك حريّ بأن يؤخذ مثالاً للمصوّرين . دُر قليلًا ... أرجوك . لا يمكن ان يصنع رجلٌ أجمل منك . امشِ قليلًا لأرى ... هذا هو الجسد الرشيق ، الممتاز !

هرباغون ليس في جسدي ما يدعو الى التذمّر . على ان سُعالاً

يستولي عليّ من وقت الى آخر .

فروسين: لا تعبأ بذلك . فسعالك ينطبق عليك انطباقاً جميلاً، وكثيراً ما يجمّلك ويرش عليك جاذباً قوياً .

هرباغون: أصدقيني ، ألم ترَني ماريان بعد ؟ ألم تنتبه إليّ مرةً في الشارع ؟

فروسين: لا ، ولكنّنا تحدثنا طويلاً عنك ، ولقد صوّرتك في عينيها صورة صادقة جداً ، ولم يفتني ان أُطري جدارتك أمامها وان افهمها اي امتياز يكون لها اذا هي تزوجت رجلاً مثلك .

هرباغون: أحسنتِ عملاً . أشكرك .

فروسين: لديّ ، يا مولاي ، رجاءٌ صغير أطرحه عليك . « يتخذ هيئته الصارمة » لي دعوى اوشك ان اخسرها لتعذّر حصولي على مبلغ صغير من الدراهم، وتستطيع بسهولة ان تجعلني أربح هذه الدعوى اذا انت تكرمت عليّ ببعض عطفك . آه يا مولاي ! لا تقدر ان تتصوّر شدة سرورها برؤيتك . « يستعيد هيئته الفرحة » انك لتروق كثيراً في عينيها ! ورداؤك القديم يؤثر فيها تأثيراً كبيراً .

هرباغون: انك تفرحينني بهذه اللهجة .

فروسين: حقاً ، يا مولاي ، ان هذه الدعوى تهمني جداً ،

ويتوقف عليها عواقب كبيرة . «يستعيد هيئته الصارمة» اذا خسرتها خسرت كل شيء وحلّ بي الدمار ! ولا يحتاج الأمر إلا الى مساعدة طفيفة ... كنت أودّ لو رأيتها بأية غبطة كانت تصغي اليّ وأنا احدثها عنك . «يستعيد هيئته الفرحة» فالفرح كان ينفجر من عينيها وهي تستمع اليّ أسرد عليها خصالك الفريدة ، حتى انها أصبحت تحترق احتراقاً في انتظار ساعة الزواج .

هرباغون ان سروري بما قمتِ به لكبير جداً ، ولا أكتمك اني مدين لك به ديناً لا يوفى .

فروسين أتوسل اليك ، يا مولاي ، ان تمدني بالمساعدة الصغيرة التي طلبتها منك . «يستعيد هيئتهُ الصارمة» فهذه المساعدة تفيدني جداً ولن أنساها لك طول حياتي .

هرباغون وداعاً ! أنا ذاهب لأنجز برقياتي .

فروسين أؤكد لك ، يا مولاي ، اني في أقصى الحاجة الى مساعدتك اياي ، ولن يتاح لك ان تساعدني على أمري كما يتاح لك اليوم .

هرباغون سأصدر أمري بأن توضع مركبتي تحت تصرفك لتذهب بك الى السوق .

فروسين　لو لم أكن في حاجة قصوى لما ثقّلت عليك .

هرباغون　وسأشير باعداد العشاء باكراً لكيلا أسبب لك مرضاً .

فروسين　لا ترفض رجائي اليك ، يا مولاي ، فانت لا تستطيع ان تتصور ...

هرباغون　انا ذاهب . اسمع من يناديني . الى اللقاء .

فروسين　« وحدها » خنقتك الحمّى ، يا حطة ! الى جميع الشياطين ! ولكن لا ينبغي لي ان اعدل عن المساومة ، وسألجأ الى الجهة الأخرى ... الى كليانت . فهناك فائدة محققة .

•

الفصل الثالث

المشهد الاول

هرباغون – كليانت – اليز – فالير – دام كلود –
المعلم جاك – براندافوان – لامرلوش .

هرباغون هيّا ، تقدّموا جميعاً لأوزع عليكم اوامري وأعيّن لكل منكم وظيفته . اقتربي يا دام كلود ولنبدأ بك . « تأخذ مكنسة » طيب . هوذا انت الآن مسلحة . أعهد اليك بتنظيف كل حاجة . ولكن اتقي فرك الأثاث بشدة لئلا يبرى. ثمّ أعهد اليك بادارة القناني في وقت العشاء ، فاذا سُرقت واحدة منها او انكسر شيء آخر ألقي التبعة عليك وأحملك الثمن .

المعلم جاك انها لعقوبة مدهشة .

هرباغون هيّا أنت يا براندافوان وأنت يا لامرلوش . أعهد إليكما بتنظيف الأقداح وتقديمها الى المدعوين ، ولكن لا ينبغي لكما ان تقدّما الشراب الا للذين

يعطشون ، فأنا لا أريـد ان تحذُوَا حذوَ بعض الخدم الوقحاء الذين يطرحون الشراب طرحاً على المدعوين من غير ان ينتظروا سؤال هؤلاء . يجب ان تنتظرا ريثما يسألونكما الشراب أكثر من مرة . ولا يفتكما ان تحضرا كثيراً من المـاء لتمزجا الخمر به .

المعلم جاك نعم ، فالخمر الصافي يصعد الى الرأس .

لامرلوش أنخلع عنا الوزرة يا سيدي ؟

هرباغون أجل ، عندما تبصران الأشخاص قادمين . ولكن احذرا ان يتلطخ ثوباكما .

براندافوان لا تجهل يا مولاي ان ثوبي ملطخ بزيت المصباح في الجهة الأمامية .

لامرلوش وأنا أيضاً يا مولاي ، اسمح لي ان أقول لك دون ان تغضب : ان ثوبي ممزق على قفاه ..ٌ

هرباغون الصمت ! تستطيع بطريقة من الطرق ان تبقي الجهة الممزقة الى ناحية الجدار وان لا تدع الحضور يرون منك الا الجهة الأمامية . «لبراندافوان» أمّا أنت فاحمل قبعتك بهـذا الشكل عندما تقوم بالخدمة . « يضع هرباغون قبعته على ثوبـه ليدلّ براندافوان كيف يصنع ليحجب لطخة الزيت » وامـا انتِ يا

بنيتي فيجب عليك ان تلاحظي العمل وتقومي بالحراسة على الآنية . فهذه الوظيفة من شأن الفتيات . ولكن كوني على أتم الاستعداد لاستقبال عشيقتي التي ستحضر الى هنا لتزورك وتصحبك معها الى السوق . أتسمعين ما أقوله لكِ ؟

اليز نعم يا أبي .

هرباغون وانت ايها الابن الفرفار الذي غفرت له الحكاية الأخيرة لا تحدثك نفسك بان تستقبلها بنظرات مشؤومة .

كليانت انا ، يا ابي ؟ نظرات مشؤومة ؟ ولماذا ؟

هرباغون يا الله ! إنّا نعرف طرق الأبناء الذين يتزوج آباؤهم للمرة الثانية ، ونعرف بأية عين تعودوا ان ينظروا الى التي تسمّى الخالة او الزوجة الثانية . ولكن اذا شئتَ ان انسى زلتك الأخيرة أُشير عليك بأن تُري هذه الفتاة وجهاً بشوشاً وان تحتفي بها أجمل حفاوة تستطيعها .

كليانت أُصارحك يا أبي اني لا استطيع ان اعدك بأني سأكون راضياً ان تصير خالتي ، واذا قلت لك خلاف ذلك أكذب عليك . أمّا ما يتعلق باستقبالها وحسن الحفاوة فاني اعدك بالنزول على كل ما تريد .

هرباغون طيب ، ولكن راعِ الظروف وانتبه الى نفسك .

كليانت سترى انك لن تحتاج الى الغضب .

هرباغون كن عاقلا . « لفالير » ساعدني يا فالير . وانت يا معلم جاك ، اقترب مني ، فقد ابقيتك الى الآخر .

المعلم جاك اتريد ان تخاطب طاهيك أم حوذيك يا مولاي ؟ فاني كلا الرجلين .

هرباغون أريد أن أخاطب الاثنين .

المعلم جاك ولكن من تريد ان تخاطب أولاً .

هرباغون الطاهي .

المعلم جاك اصبر قليلا إذاً ... أرجوك . « ينزع عنه ثوب الحوذي فيظهر في ثوب الطاهي »

هرباغون ماذا يسمى هذا النوع من الوسميات ؟

المعلم جاك ماعليك إلا ان تتكلم .

هرباغون لقد وعدت باحياء وليمة عشاء ، هذا المساء ، يا معلم جاك .

المعلم جاك اعجوبة كبيرة !

هرباغون قل لي ، أبودّك ان تطعمنا طعاماً لذيذاً ؟

العلم جاك نعم ، اذا اعطيتني كثيراً من الدراهم .

هرباغون يا لابليس ! دائماً دراهم ! يظهر انه ليس من كلام الا الدراهم ، الدراهم ، الدراهم ! دائماً دراهم ؟

ألا تنزع الدراهم من فمك ؟

فالير لم اسمع بعد جواباً أوقح من هذا الجواب . انها لأعجوبة غريبة ان يولم المرءُ وليمة بكثير من الدراهم ، وهي لعمري من أضحك مهازل الناس . ولا ينهج هذا المنهج الا الأغبياء الحمقى . لا يا صاحبي ، فالرجل الحاذق يولم وليمةً بقليل من الدراهم .

المعلم جاك وليمة بقليل من الدراهم !

فالير أجل ، أجل !

المعلم جاك وحقك ، يا حضرة المستشار ، سأكون مديناً لك بجميل كبير اذا أنت كشفت لي عن هذا السرّ ونبتَ عني في المهنة . وتقلدني فوق ذلك جميلاً آخر اذا أنت تدخلت في جميع الشؤون .

هرباغون الصمت ! الى ماذا نحتاج ؟

المعلم جاك هوذا مستشارك ، يا سيدي ، يقول انه يستطيع ان يولم لك وليمة بقليل من الدراهم .

هرباغون هَيْ هَيْ ! أريد ان تجيبني عن سؤالي .

المعلم جاك كم يكون عددهم على المائدة ؟

هرباغون سنكون ثمانية او عشرة ، ولكن ينبغي لك ان تولم لثمانية لأن طعام ثمانية يكفي عشرة .

فالير دون ريب .

المعلم جاك طيب ! إذن ينبغي لنا أربعة أشكال طعام وخمسة صحون تمهيدية .

هرباغون يا لابليس ! انك تذكر مـا يكفي لاشباع مدينة كاملة .

المعلم جاك وينبغي لنا ...

هرباغون « يضع يده على فم جاك » آه يا خائن ! تريد ان تأكل كلّ ما أملك !

المعلم جاك ينبغي لنا ...

هرباغون فوق ذلك ؟

فالير أبودّك أن « تفزر » جميع الناس ؟ وهل دعا مولانا هـذا الجمهور ليصعقه بكثرة الأكل ؟ اذهب وادرس قليلاً أصول علم الصحة ، واسأل الأطباء هل هناك عاقبة أوخم على الانسان من الافراط في الأكل ؟

هرباغون الحق في جانبه .

فالير اعلم يا حضرة المعلم جاك أنت وكل من يشبهك ان المائدة الملأى أطعمة انما هي خنجر قاطع ، وان اللباقة وحسن الذوق يقضيان على أصحاب الدعوات أن يراعوا مِعَد المدعوين ، واعلم ان القدماء

كانوا يقـولون : يجب ان تأكل لتعيش لا ان تعيش لتأكل .

هرباغون — أحسنت ، أحسنت ! انه لكلام وجيه جداً ! اقترب ، اقترب لأعانقك جزاءً لك على هذه الكلمة . فهي والحق يقال اجمل آية انتقادية سمعت بها في حياتي. يجب أن تعيش لتأكل لا أن تأكل لتـ... لا ، ليس هكذا . كيف قلت ؟

فالير — يجب أن تأكل لتعيش لا ان تعيش لتأكل .

هرباغون — أسمعت ؟ من هو الرجل العظيم الذي قال ذلك ؟

فالير — لا اذكر اسمه الآن .

هرباغون — لا تنسَ ان تكتب لي هذه الكلمات ، فاني أريد ان أحفرها على داخون غرفتي بأحرف من الذهب .

فالير — لن أتاخر . أمّا ما يتعلق بعشائك فدعني أتدبَّر الأمر حسب معرفتي .

هرباغون — اتفقنا .

المعلم جاك — حسناً تفعل ، فستوفر عليّ بعض المشقة .

هرباغون — يجب أن تشتري من تلك الأشياء التي لا تؤكل إلا قليلًا والتي تُشبع عاجلًا .

فالير — اتكل عليّ من هذه الجهة .

هرباغون — والآن ، يا معلم جاك ، يجب عليك ان تنظف مركبتي.

المعلم جاك	إصبر . هذا الكلام يوجّه الى الحوذي . «يُرجع وزرته» ماذا تقول ؟...

هرباغون	يجب ان تنظف مركبتي وتهيء جيادي لتقودها الى السوق ...

المعلم جاك	جيادك ، يا مولاي ؟ وحقك ، يا سيدي ، ان جيادك لم تبقَ في حالة تستطيع معها السير ، لأنك لا تطعمها شيئاً ، والصوم الذي تقاسيه هذه البهائم المسكينة لم يُبقِ منها إلاّ أشباحاً بشكل جياد .

هرباغون	ولكنها مريضة لا تأتي حركة .

المعلم جاك	ولنفرض انها لا تأتي حركة أيصلح أن لا تأكل شيئاً ؟ اذا كنت تريد ان تشغل هذه البهائم المسكينة فينبغي لك ان تطعمها . انني لا أقوى على النظر اليها في تلك الحالة من الانحطاط ، ولقد بلغت بي الشفقة على هذه البهائم الى درجة اني كلما رأيتها تهزل اعتقد ان هزالها يحلّ بي أنا نفسي ، وتراني فوق ذلك أنزع اللقمة من فمي لأطعمها اياها . انها لطبيعة قاسية أن لا يحس المرء بأية شفقة على قريبه .

هرباغون	لا أرى في الذهاب الى السوق عملاً كبيراً .

المعلم جاك	لا ، يا سيدي ، لا أسوّغ لنفسي الذهاب بها الى

مكان ، ولا اريد أن احمّل ضميري عاقبة السياط على ظهورها . كيف تريد ان تجرّ مركبة وهي لا تستطيع ان تجرّ نفسها ؟

فالير مولاي ، سأجبر جارنا بيكار على ان يكلف نفسه قيادتها ، اما المعلم جاك فسنحتاج اليه في المطبخ لاعداد الطعام .

المعلم جاك طيب . أُفضّل أن تموت تحت يدَي آخر على ان تموت تحت يديّ .

فالير كن عاقلاً يا معلم جاك !

المعلم جاك لا تتدخل بما لا يعنيك يا حضرة المستشار !

هرباغون اصمت !

المعلم جاك « لهرباغون » لا أُطيق المتملقين يا سيدي ، وأرى ان شدة مراقبته المتواصلة على الخبز والخمر والخشب والملح والمصابيح ليست الا تملقاً لك واستدراجاً لمرضاتك . اني لن أحتمل هذا ، وأجد نفسي مستاءً مما أسمع عنك كل يوم ، اذ اني أشعر نحوك بعطف وحنان ، ولا أُخفي عنك أنك أحب شخص إليّ بعد جيادي .

هرباغون أأستطيع أن أعرف منك ، يا معلم جاك ، ماذا يقال عني ؟

المعلم جاك نعم ياسيدي ، بشرط ان لا يسوءك ذلك .

هرباغون لا ، لن يسوءني .

المعلم جاك عفواً اني واثق من ان ذلك يغضبك ويخرجك عن نفسك .

هرباغون لا ، أبداً ، بل يسرّني . فأنا أفرح بالاطلاع على ما يقال عني .

المعلم جاك بما أنك تلحّ عليّ في الاطلاع على كل شيء أقول لك بصراحة إن الناس يسخرون منك في كل مكان ، وانهم يرشقوننا من جميع الجهات بمئة نقدة تتعلق بك ، ولا يلتذون بشيء لذتهم بفلت ألسنتهم عليك ونسج الحكايات الكثيرة حول بخلك . فبعضهم يقول إنك تطبع يوميات خاصّة تضاعف فيها أيام الصوم لتستفيد منها فتضطرّ من في دارك الى الانقطاع عن الطعام . وبعضهم يزعم أنك تخاصم دائماً خدمك في أوقات الأعياد ، ولا سيما أعياد رأس السنة ، لتجد لك عذراً في إمساك يدك . ولقد قال أحد هؤلاء إنك شنقت هرّ جارك لأنه سرق من مطبخك قطعة شحم ، وقال غيره إنه أدركك في احدى الليالي تسرق بنفسك شعير جيادك ، وان الحوذي الذي كان قبلي

تمكن منك في إحدى الليـلات فمهرك لا أعلم بكم ضربة عصاً لم تشأ ان تطلع أحـداً على خبرها . وأخيراً أتريد ان اصارحك ؟ لا نعرف مكاناً تعوّدنا الذهاب اليه الاّ نسمع فيه ألف حكاية عنك ، فأنت محور جميع الأحاديث وسخرية جميع الناس ، ولا يتناولك أحد الا يعزو اليك البخل والانحطاط .

هرباغون « يضربه » انك احمق ، خبيث ، عفريت ، وقح !

المعلم جاك هه هه ! ألم احزر ذلك ؟ لقد قلت لك إنك ستغضب اذا قلت لك الحقيقة ، فلم تشأ ان تصدقني .

هرباغون تعلّم اصول الكلام .

المشهد الثاني

المعلم جاك – فالير

فالير أرى يا معلم جاك ان صراحتك لم تنل جزاءً حسناً .

المعلم جاك لا تتدخل بما لا يعنيك يا حضرة القادم حديثاً الذي يتظاهر بالعظمـة والفهم . واذا شئت ان تضحك فاضحك من ضربات العصي التي تتلقاها لا من التي اتلقاها انا .

فالير آه ! لا تسخط يا معلم جاك ... أرجوك .

المعلم جاك «على حدة» انه يتخلص بعذوبة . أريد أن أتظاهر بالبسالة فاذا بلغ به البَلَه الى حد الخوف مني فلا أتأخر عن صفعه قليلًا . «عالياً» أتعلم يا حضرة الساخر اني لا أمزح أنا، وانك اذا أغظتني اضحكك بشكل آخر ؟ «يدفعه مهدداً اياه حتى يصل به الى طرف الملعب»

فالير بهوادة ! بهوادة !

المعلم جاك كيف بهوادة ؟ أنا لا أعرف الهوادة ولا ألتذّ بها .

فالير أرجوك !

المعلم جاك أنت وقح !

فالير يا حضرة المعلم جاك ...

المعلم جاك لا معلم جاك ولا حضرة . فاذا تناولت عصاً وأهويت بها عليك أسحقك سحقاً .

فالير كيف، عصاً ! «يدفعه بقدر ما دفعه هو في الأول»

المعلم جاك هه ! أنا لم أقصد ذلك .

فالير أتعلم أيها الأحمق اني استطيع ان أسحقك أنا ايضاً ؟

المعلم جاك لا أشك في ذلك .

فالير وانك لست سوى طاهٍ سخيف ؟

المعلم جاك أعرف ذلك .

فالير	وانك لم تعرفني بعد ؟

المعلم جاك	عفواً ، عفواً !

فالير	تقول انك تسحقني ؟

المعلم جاك	قلت ذلك مازحاً .

فالير	أمّا أنا فلا يروقني مزاحك . « يضربه بالعصا » اعلم انك ساخر سخيف .

المعلم جاك	أخذ الطاعون الصدق ! انه لمهنة عاقر ! سأعدل عن قول الصدق من الآن فصاعداً . آه ! اذا حقّ لسيدي ان يضربني فلا يحق لهذا المستشار أن يفعل ذلك ، ولسوف انتقم منه اذا استطعت .

المشهد الثالث

فروسين – ماريان – المعلم جاك

فروسين	أتعلم يا معلم جاك ان كان سيدك في البيت أم لا ؟

المعلم جاك	هو في البيت دون ريب .

فروسين	أرجوك ، قل له اننا هنا بانتظاره .

المشهد الرابع

ماريان – فروسين

ماريان آه يا فروسين ، إني لفي حالة سيئة جداً ، ولا أُخفي عنك أني أخاف على نفسي من هيئته !

فروسين ولماذا ؟ ممَّ تخافين ؟

ماريان واحرَّ قلبـاه ! اتسألينني لماذا ؟ ألا تتصورين اي ألمٍ تعانيه فتاة هيأهـا سوءُ الطالع لمواجهة العذاب المكتوب لها ؟

فروسين أرى ان هرباغون ليس العـذاب الذي ستقاسينه ، وأعرف من سحنتك ان الفتى الأشقر الذي كلمتني عنه لا يفتأ يرود في مخيلتك .

ماريان نعم ، فهذا الفتى تملّكني حبه ، فالزيارات التي قام بها أثرت في نفسي تأثيراً كبيراً .

فروسين ولكن هل عرفت من هو ؟

ماريان لا ، لم أعرف من هو ، ولكني أعرف انـه خلق ليعشق. واني اذا خُيِّرت لا أختار سواه ، وأعرف فوق ذلـك كله ان الزوج الذي يراد اعطائي اياه انما هو عذاب لنفسي وشقاء لا يطاق .

فروسين يا الله ! لا أنكر ان في هؤلاء الفتيـان الشقر لذّة كبيرة وانهم يجيدون استهلال محاولاتهم ، ولكنّ معظمهم بائسون كالفئران . فأولى بك ان تتزوجي رجلاً مسنّاً يحمل اليك كثيراً من الخيرات . واني لأعترف لك بأنك ستضطرين الى مجابهة بعض انواع المقت مع ذوج كهـذا ، على ان انواع المقت هذه لن تـــدوم طويلاً ، فموته محقق ؛ ومتى مـات تتمتعين بخيراته على ما تشائين ولا تلبثـين ان تقعي على الزوج الذي ترغبين فيـه فتعوضي عما فات .

ماريان يا الله ! انه لأمر غريب ان ينتظر المرءُ السعادة من موت آخر ، والموت كما تعلمـين لا يتبع جميـع المشاريع التي نقوم بها .

فروسين أتهزئين ? ولكنك لن تتزوجيه الا بشرط ان يسرع في جعلك ارملة ، وهذا الشرط سيكون في عداد شروط العقد . وأرى انه سيكون وقحاً جداً اذا هـو لم يمت من الآن الى ثلاثة اشهر . هـا هو بلحمه ودمه .

ماريان آه يا فروسين ، تباً لها من سحنة !

المشهد الخامس

هرباغون – فروسين – ماريان

هرباغون لا تسخطي يا جميلتي اذا اتيت اليك بنظاراتي ، فأنا لا أجهل ان جواذبك اللماعة تسطع سطوعاً عظيماً وتُرى لأول وهلة ، وأنه لا حاجة معها الى نظارات ؛ ولكن الكواكب تشاهد من وراءِ النظارات ، وبما أنك كوكب ، بل أجمل كوكب يستطيع المرءُ ان يراه في بلاد الكواكب – وهذا ما أؤكده وأراهن عليه – رأيت ان أضع نظاراتي . «لفروسين» فروسين ، اراها لا تجيب ، ولا تظهر لي سرورها بمشاهدتي .

فروسين ذلك لأنها لا تزال مدهوشة ، ثم ان الفتيات يخجلن في البدء من الجهر بما في نفوسهن .

هرباغون صدقتِ . «لماريان» ها هي ابنتي ، يا جميلتي الصغيرة ، جاءت لتسلم عليك .

المشهد السادس

اليز – هرباغون – ماريان – فروسين

ماريان «لأليز» لقد جئتِ متأخرة .

اليز	عملت ما كان يجب عليّ أن اعمل ، اذ كان ينبغي لي ان انبهك اولاً .
هرباغون	« لماريان » ترين انها كبيرة ، ولكن العشب الرديء ينمو بسرعة .
ماريان	« لفروسين بصوت منخفض » يا له رجلاً كريهاً !
هرباغون	ماذا تقول الحسناء ؟
فروسين	تقول انها تراك بديعاً .
هرباغون	« لماريان » انه لشرف عظيم تسبغينه عليّ يا معبودتي الصغيرة .
ماريان	« على حدة » يا للحيوان !
هرباغون	اني مدين لك بهذه العواطف !
ماريان	« على حدة » لم أبقَ أستطيع ان اتحمّل !
هرباغون	هوذا ابني قادم يسلّم عليك .
ماريان	« لفروسين بصوت منخفض » آه يا فروسين ، يا للمصادفة ! هو بعينه الذي حدثتك عنه .
فروسين	« لماريان » الحادث عجيب !
هرباغون	أظنك تدهشين لرؤيتك ولديّ في هذا العمر . ولكني سأتخلى عنهما قريباً .

المشهد السابع

كليانت – هرباغون – اليز – ماريان – فروسين – فالير

كليانت «لماريان» لا أكتمك يا آنستي انها حادثة لم أكن أتوقعها ، وان دهشتي كانت كبيرة جداً عندما اطلعني والدي منذ هنيهة على الخطة التي رسمها لنفسه .

ماريان وأنا أيضاً أقول ما قلته أنت ، فهي لعمري مصادفة غير منتظرة أوقعتني في مثل دهشتك حين لم أكن مستعدة لمثل هذا الحادث .

كليانت حقّاً ان والدي لا يستطيع ان يقع اختياره على أفضل منك ، وان شرف مشاهدتي اياك انما هو سرور لن تتمتع نفسي بأكبر منه ولكن مع كلّ هذا لا أؤكد لك اني سأكون في شيء من الغبطة اذا صرتِ خالتي ، وأصارحك بأن الأمر صعب عليَّ ، وان لقب الخالة لا أتمناه لك . قد يكون هذا الخطاب قاسياً في نظر البعض ؛ ولكني على ثقة انك ستأخذينه من وجهته العاقلة ، فهذا الزواج يوحي إليّ مقتاً شديداً ، لا سيما انك تدركين انه يمسّ صالحي في الحالة التي أنا فيها . وأقول لك في

النهاية – اذا سمح لي والدي – ان القضية لو كانت متعلقة بي لما وافقت على هذا الزواج .

هرباغون انها لعمري مفاتحة وقحة ، واعتراف لم أسمع أحمق منه !

ماريان «لكليانت» ولكي أجيبك على كلامك أقول لك اننا متشابهان ، وانك اذا كنت تشعر بمقت لرؤيتك اياي خالة لك فان مقتي لرؤيتي اياك ابن زوجي لن يقلّ عن مقتك انت . وأرجو منك ان لا تعتقد اني اسعى الى ان اسبب لك شجوناً وقلقاً ، فاني ليسوؤني ان أراك منزعجاً ، ولئن كنت مرغمة على ازعاجك بقوة مطلقة فثق بكلامي اني لن اعزم على زواج يسوؤك .

هرباغون الحق في جانبها ، فالمفاتحة الحمقاء تستوجب جواباً مثلها . «لماريان» أسألك ، يا جميلتي ، عفواً عن وقاحة ابني ، فهو أحمق صغير لا يزال يجهل عواقب ما يقول .

ماريان أعترف لك بأن ما قاله لي لم يسؤني قط ، بل سرني انه شرح لي شواعره الحقيقية . واني لأحب منه مصارحة كهذه ، ولو انه خاطبني بلهجة غير هذه اللهجة لما احترمته هذا الاحترام .

هرباغون إنك تفرطين في اللطف وكرم الأخلاق بالعفو عن هفواته . ولكن الزمن سيصيّره أعقل مما هو ، وسترين انه سيبدّل اخلاقه .

كليانت لا يا أبي ، لن أبدّل شيئاً منها . وأرجو من حضرة الآنسة ان تثق بذلك .

هرباغون هه هه ! وقاحة غريبة يستمرّ فيها بلهجة أشدّ !

كليانت أتريد أن أغالط قلبي ؟

هرباغون الا تسكت ؟ أبودك ان تغير هذه اللهجة ؟

كليانت طيب ! بما انك تريد ان أتكلم بشكل آخر « لماريان » فاسمحي لي ، يا آنستي ، أن أحلّ الآن محلّ والدي فأعترف لك بأني لم أرَ في العالم شيئاً يوازي جمالك الساحر ، وأني لا أُفكر في شيء يضارع السعادة التي توحيها مرضاتك ، وان لقب زوجك إنما هو مجد أؤثره على حظوظ أعظم أمراء الأرض . أجل ، فالسعادة التي تنجم عن الحصول عليك هي في نظري أجمل ثروة يتاح لانسان ان يحصل عليها ، وهذه السعادة هي وحدها التي يرغب فيها طموحي ، وليس من قوة على الأرض تعجزني عن السعي وراء هذا الفتح الثمين ، وان أعظم الحواجز ...

هرباغون « يقاطعه » بهوادة يا ابني ، ارجوك .

كليانت · هذه مطارحة أنوب عنك بها .

هرباغون يا الله ! لي لسان أعبّر به انا بنفسي ، ولست بحاجة الى وكيل مثلك . هيّا ، أحضر مقاعد .

فروسين لا ، بل الأصح ان نذهب الآن الى السوق ليتاح لنا العودة عاجلًا ويفسح لنا الوقت فيما بعد بالتحدث إليك .

هرباغون إذن لتسرَج الجياد على المركبة . «لماريان» أرجو إليك ، يا جميلتي ، ان تعذريني اذا انا لم أفكر في ان احضر اليك طعام العصر قبل ذهابي .

كليانت لقد قمت عنك بالواجب ، يا ابي ، وأرسلت أطلب بلسانك كمية من البرتقال الهندي والليمون الحلو والمربى .

هرباغون « لفالير بصوت منخفض » فالير !

فالير «لهرباغون» أضاع رشده !

كليانت أترى ان هذا قليل يا أبي ، ولكنّ حضرة الآنسة تعذرنا اذا شاءَت .

ماريان لم يكن من موجب لكل هذا .

كليانت هل سبق لك ، يا آنستي ، ان بصرت بماسة اجمل من الماسة التي في اصبع والدي ؟

ماريان الحق يقال انها تلمع لمعاناً كبيراً .

كليانت « ينزع الخاتم من اصبع والده ويقدمه لماريان »
يجب ان تتأمليه عن قرب .

ماريان لا شك انه جميل جداً ويرمي كمية ً من الشرر .

كليانت « يقف امام ماريان وقد همت بارجاعه » أرجوك ، يا آنستي ! لن يصير هـذا الخاتم الى يدٍ أجمل من يدك . وهو هدية لك من والدي .

هرباغون أنا ؟

كليانت أليس حقاً يا ابي انك تهبه لحضرة الآنسة وتريد منها ان تحتفظ به حباً بك ؟

هرباغون « لكليانت بصوت منخفض » كيف ؟

كليانت جميل! « لماريان » يشير اليّ بأن ادعك تقبليه .

ماريان لا أريد ...

كليانت « لماريان » أتمزحين ؟ لا تقضي اللياقة بأن يسترجعه .

هرباغون « على حدة » أختنق !

ماريان ولكن هذا ...

كليانت « يمنعها عن ارجاع الخاتم » لا ! قلت لك انك تهينينه .

ماريان ارجوك ...

كليانت مستحيل !

هرباغون « على حدة » أخذ الطاعون ...

كليانت	ألا ترينه كيف يغتاظ من رفضك ؟

هرباغون	« لابنه بصوت منخفض » آه يا خائن !

كليانت	« لماريان » أترين قنوطه ؟

هرباغون	« لابنه مهدّداً بصوت منخفض » يا لك من جلاّد .

كليانت	ليس الذنب عليّ ، يا أبي ، فأنا أسعى جهدي لاقناعها بالاحتفاظ به ، وهي تصرّ على الرفض .

هرباغون	« لابنه بصوت منخفض وبغيظ شديد » احمق !

كليانت	أنتِ السبب ، يا آنستي ، في مخاصمة والدي لي .

هرباغون	«بصوت منخفص وبالحدة نفسها » عفريت !

كليانت	أرجوكِ ، لا تصرّي على الرفض لئلا يصاب بمرض .

فروسين	يا الله ! احتفظي بالخاتم بما انه يريد ذلك .

ماريان	« لهرباغون » أحتفظ بـه الآن لكيلا أُغضبـك ، وسأغتنم فرصة أخرى لارجاعه اليك .

المشهد الثامن

هرباغون – ماريان – فروسين – كليانت –
برندافوان – اليز – فالير

برندافوان	مولاي ، هنا رجل يرغب في مواجهتك .

هرباغون	قل له إني مشغول ، وليرجع مرة أخرى .

برندافوان   يقول انه حاملٌ اليك دراهم .

هرباغون   عفواً ، عفواً ! سأرجع بعد هنيهة .

المشهد التاسع

هرباغون – ماريان – كليانت – اليز –
فروسين – لامرلوش – فالير

لامرلوش   « يدخل راكضاً ويُسقط هرباغون الى الأرض »
مولاي ...

هرباغون   آه ! لقد مت !

كليانت   ماذا جرى لك يا أبي ؟ هل أصابك ألم ؟

هرباغون   أراهن على ان هذا الخائن قبض دراهم من عملائي أُجرةً على قتلي .

فالير   لا بأس ! هذا لا يفيد شيئاً .

لامرلوش   « لهرباغون » عفواً يا مولاي ، ظننت ان الاسراع يفيدك .

هرباغون   ماذا جئت تفعل هنا ، يا جلاّد ؟

لامرلوش   جئت أقول لك ان حوافر جيادك عريانة .

هرباغون   لتؤخذ الى البيطري حالاً .

كليانت	اذاً أريد بهـذه الفرصة ان اصحب حضرة الآنسة الى الحديقة لأقوم نحوها بواجب البيت .

هرباغون	فاليو ، لاحظ كلّ ذلك ، واجتهد ان تنقذ الكثير من الأشياء لأعيده الى البائع .

فاليو	كن براحة بال .

هرباغون	آه يا خائن ! آه يا أوقح الأبنـاء ! أبودك ان تهدم كياني وتقودني الى الخراب ؟

•

الفصل الرابع

المشهد الاول

كليانت – ماريان – اليز – فروسين

كليانت لندخل الى هنا فنكون في مأمن ونتحدث بحرية مطلقة .

اليز «لماريان» نعم ، فقد اطلعني اخي على الميل الذي يشعر به نحوك . ولست أجهل أيّ شجون تسببها لكِ تلك الاضطرابات ، وأؤكد لكِ اني أهتم لأمركِ اهتماماً مقروناً بكثير من الحنان .

ماريان انها لتعزية عذبة أن يكون الى جانبي شخص مثلكِ ، وأتوسل اليك ان تحفظي لي الى الأبد هذا العطف الكريم الذي هو وحده جدير بأن يخفف عني مظالم الحياة .

فروسين انكما لشقيّان منكودا الحظ ، فلو اطلعتماني قبل الآن على امركما لكنت حوّلت عنكما هذا الشجَن

الذي تقاسيان ، وما تركتُ سبيلًا الى شيء مما أنتما فيه .

كليانت ماذا تريدين ؟ ذلك ما أراده حظي العاثر . « لماريان » ولكن ، يا جميلتي ماريان ، على ماذا تمّ عزمك ؟

ماريان واحرّ قلباه ! وهل باستطاعتي أن اعزم على أمر ؟ وهل يتاح لي إلاّ أن أتمنى وأنا في هذه الحالة المنوط أمري فيها بغيري ؟

كليانت أليس لي من دعامة في قلبكِ إلاّ التمنيات ؟ أليس من رحمة منقذة ؟ أليس من عطفٍ عامل ؟

ماريان ماذا أقول لك ؟ ضع نفسك مكاني وانظر ما بوسعي وعند ذلك أشر عليّ وائمرني ، فاني لأكل نفسي اليك ولا أخالك إلاّ أعقل من أن تتطلب مني فوق ما يسمح لي به الشرف واللياقة .

كليانت آه ! تريدين ان تنزليني على ما تسمح لي بـه مشيئة الشرف الظالم واللياقة المشبوهة ؟

ماريان ولكن ماذا تريـد أن أفعل ؟ فاني وان كنت لا اعلق همّاً كبيراً على الواجب المفروض على الفتاة او على الجنس إلاّ اني لا أستطيع ان اخرج على مشيئة والدتي ، فلقد تعهدتني دائماً بحنـان كبير لا يسمح لي أن اسبب لها ايّ ألم او كدر . أمّا أنت

فاسعَ واستعمل جميع الوسائل لتستميل عقلها اليك ، واني أفوّض اليك ان تقول لها ما شئت ، حتى اذا رفضت ان تجيب طلبك لا أتردد في مكاشفتها بكل ما أشعر به نحوك .

كليانت فروسين ، أتريدين أن تؤدي لنا خدمة ؟

فروسين وحقك ، أيحتاج هذا الى سؤال ؟ أريد بكل قلبي . لا تجهل ان طبيعتي ميّالة الى الانسانية ، وان السماء لم تجبل نفسي بالنحاس ، وان في قلبي حناناً يدفعني الى القيام بالخدمات والمساعدات عندما اقع على قوم يحب بعضهم بعضاً في شرفٍ وصدق. ماذا ترى ان نفعل الآن ؟

كليانت « لفروسين » فكري قليلاً ، أرجوك .

ماريان « لفروسين » أنيري لنا السبيل .

اليز « لفروسين » فتشي عن اختراع تبطلين به ما عملت .

فروسين هذا صعب . « لماريان » فأمك ليست على كثير من التعقل ، وقد نقوى على استمالتها الينا وجعلها تحوّل الى الابن المهر الذي تريد ان تعطيه للأب . « لكليانت » ولكن الصعوبة التي تعرض لنا هي ان والدك هو والدك .

كليانت هذا متفق عليه .

فروسين — أُريد أن أقول ان والدك يضمر لك شرّاً اذا شعر بأنه مرفوض فلا يوافق على زواجك . فينبغي اذاً ان يأتي الرفض من قبله هو . « لماريان » وان تجعليه ، بوسيلة ما ، يعرض عنك ويعافك .

كليانت — الحقّ في جانبك .

فروسين — نعم ، الحق في جانبي . لا أجهل ذلك . ولكن المشكلة في ايجاد الوسيلة . مهلًا ، لقد خطرت لي فكرة : لو استطعنا ان نهتدي الى امرأة جازت قسطاً من العمر وتكون مشتملة على شيء من مواهبي لتمثل تمثيلًا تاماً دور امرأة من علية القوم فتتزيّا بزي مركيزة او فيكونتيس من احدى سلالات بريطانيا السفلى لتمكنتُ بحيلي من اقناع والدك بأن هذه المرأة على كثير من الغنى وانها تملك فضلًا عن قصورها الفخمة ثلاثمائة ألف فرنك نقداً ، وانها هائمة بحبّه هياماً شديداً وتتمنى ان تكون زوجة له حتى انها لا تتردد في اعطائه كل ما في يدها لقاء هذا الزواج . واني لأؤكد لك انه يقبل بدلك ويميل إليه بكل نفسه . « لماريان » لا شك انه يحبّك كثيراً ، ولكنه يحب المال أكثر منك . وعندما ينخدع بهذا الطعم وينجذب الى

سواك تنحلُّ العقدة من تلقاء نفسها وتصبحين غير مسؤولة .

كليانت فكرة حسنة .

فروسين دعني أعمل . فلقد تذكرت صديقةً لي لا شك في انها تقوم بهذه الخدمة .

كليانت ثقي يا فروسين بتقديري اذا أنتِ بلغتِ النتيجة في سعيك. «لماريان» ولكن يا ساحرتي ماريان ، يجب عليك في البدء ان تعملي لاستمالة أمك ، لأن إبطال الزواج يتوقف على هذه الاستمالة ، ولا تنسي انه أمرٌ خطير . إذاً خذي هذا العمل على عاتقك ، واسعي بكل قواك للوصول الى النتيجة . ولا يفتك ان تستعملي الى جانب أمك جميع أنواع السلطة التي تستمدينها من عطفها عليك ، فينبغي لك ان تفرطي في السحر الأسمى والجواذب البليغة التي وضعتها السماء في عينيك وفمك ، ولا تنسي شيئاً من تلك العبارات الرقيقة والتوسلات العذبة والملاطفات المؤثرة التي لا أشك في انك تصلين بها الى ما تشائين .

ماريان سأعمل كلَّ ما بوسعي ولا انسى شيئاً .

المشهد الثاني

هرباغون – كليانت – ماريان – اليز – فروسين

هرباغون « على حدة » هَيْ هَيْ ! ان ابني يقبّل يد خالته المقبلة وهي لا تمانع كثيراً . أترى هناك بعض السرّ ؟

اليز هذا ابي .

هرباغون المركبة مهيّأة . تستطيعان ان تذهبا عندما تريدان .

كليانت بما انك لا تذهب معهما فأعهد الى نفسي بالنيابة عنك .

هرباغون لا ، بل ابقَ . ستذهبان وحدهما ، فأنا بحاجة إليك .

المشهد الثالث

هرباغون – كليانت

هرباغون اذا وضعنا في ناحية ما يتعلق بالخالة فماذا ترى في هذه الفتاة ؟

كليانت ماذا أرى فيها ؟

هرباغون أجل ، ماذا ترى في هيئتها وقامتها وجمالها وعقلها ؟

كليانت	هَيْ هَيْ !

هرباغون	هَيْ هَيْ ؟ ماذا تقصد بِـهَيْ هَيْ ؟

كليانت	اذا شئت أن أُصاوحك أقول لك اني لم أجدها كما كنت أتوقع ، فهيئتها تدل على انها فرفارة تسير على هوى نفسها ، وقامتها ليست بمشوقة بل هي عوجاء ، وليس عليها من الجمال الا النزر قليل جداً امّا عقلها فهو دون العقول الصغيرة . لا تظنّ يا أبي، اني ازهدك بها ، فأنا أفضلها خالةً على اخرى.

هرباغون	مع انك منذ هنيهة كنت تقول لها ...

كليانت	قلت لها أشياءَ عذبة باسمك ، ولم أقل ذلك إلاّ لأسرّك .

هرباغون	اذاً أنت لا تشعر بميل نحوها ؟

كليانت	انا ؟ معاذ الله !

هرباغون	لا أكتمك أسفي ، فذلك ما يُبطل فكرة خطرت في بالي ، فلما شاهدتها أخذت أفكر في السن التي بلغتْها وقلت في نفسي قد يلومني الناس اذا انا اتخذت ذوجةً لي فتاةً شابة كماريان ، وهذه الفكرة ما لبثت ان حوّلتني عن عزمي ، وإذ كنت قد عاهدتها على الزواج كان بودّي ان اعرضها عليك . ولكن امتعاضك منها ...

كليانت تعرضها عليّ انا ؟

هرباغون عليك أنت .

كليانت للزواج ؟

هرباغون للزواج .

كليانت اسمع : حقاً انها ليست من ذوقي ، ولكن لا أتردّد في اتخاذها زوجةً لي اذا كان في ذلك ما يسرّك .

هرباغون أنا ؟ اني أعقل مما تظنّ ، فلا أريد أن أُرغم ميلك .

كليانت عفواً ، ولكني سأقوم بهذا الجهد حبّاً بك .

هرباغون لا ، لا ، فالزواج لن يكون سعيداً الا اذا تمّ عن ميل .

كليانت ان الميل لا يلبث ان يأتي فيما بعد ، ويقال ان الحبّ كثيراً ما يكون ثمرة الزواج .

هرباغون لا ، لا ينبغي للرجل ان يخاطر بنفسه لأجل أمر كهذا ، فثمة عواقب وخيمة لا أُسوّغ لنفسي ايصالك اليها ، فلو كنت تشعر نحوها بميلٍ ما لهان الأمر وزوّجتك منها بدلاً مني ، أمّا والمسألة ليست كذلك فسأظلّ على عزمي وأتخذها زوجةً لي .

كليانت اذاً ، بما ان المسائل بلغت بنا الى هذا الحد فدعني ، يا أبي ، أطلعك على كل شيء ، ولا أخفي عنك

الحقيقة وهي اني أحب ماريان . لقـد أحببتها منذ اليوم الذي شاهدتها به في احدى النزهات ، وصحّت عزيمتي على أن أستشيرك في اتخاذهـا زوجةً لي ، ولكن الذي أوقفني الى الآن هو معرفتي بشعورك نحوها وخوفي من الاساءة اليك .

هرباغون هل زرتها ؟

كليانت نعم ، يا أبي .

هرباغون مرات عديدة ؟

كليانت قدر ما كانت الظروف تسمح لي .

هرباغون وهل كنت تُستقبل بحفاوة ؟

كليانت بحفاوة كبيرة ، ولكن ماريان لم تكن تعرف من أنا ، وهذا ما سبّب دهشتها منذ هنيهة .

هرباغون هل طارحتها حبّك وكاشفتها برغبتك في الزواج منها ؟

كليانت دون ريب . ولقد فاتحت امها بشيء من هذا أيضاً .

هرباغون وماذا قالت الأم ؟ هل أصغت اليك ؟

كليانت نعم ، بكل انتباه .

هرباغون والفتاة ، أتُراها تبادلك ميلك اليها ؟

كليانت اذا صدّقتُ الظواهر فلا أشك ، يا أبي ، انها تشعر نحوي بشيء من العطف والحنان .

هرباغون لقد سررتُ جـداً بوقوفي على هذا السرّ ، وهـذا

لعمري ما كنت أرغب في الاطلاع عليه . أوه ! أوه ! أتعرف ماذا هناك ، يا ابني ؟ هناك أن عليك الانعتاق من حبك ، والكف عن جميع محاولاتك ، والحياد عن طريق فتاة أرغب فيها لنفسي ، والزواج قريباً من المرأة التي يشار عليك بها .

كليانت نعم ، يا أبي ، فهمت الآن اي شرك أوقعتني فيه ! طيب ، بما ان الحال أوصلتنا الى هنا أقول لك اني لن أميل عن الهوى الذي أشعر به نحو ماريان ، وانه ما من قوة تستطيع ان تقف في وجهي دون مزاحمتك عليها ، وإني سألجأ الى جميع الوسائل لأنتصر عليك . وكن على ثقة انك ان كنت تتكل في الفوز على مشيئة أمها فأنا أتكل في الفوز أيضاً على قوة اخرى تناضل لأجلي .

هرباغون ماذا يا وقح ؟ أتجرؤ على مزاحمتي ؟

كليانت بل انت الذي يجرؤ على مزاحمتي أنا ، فأنا الأول في التاريخ .

هرباغون ألستُ أباك ؟ ألستَ مديناً لي بالاحترام ؟

كليانت ولكنّ القضية التي نحن في صددها ليست من تلك القضايا التي يجب على الأبناء الانصياع الى آبائهم

فيها ، فالحب لا يعرف أحداً .

هرباغون ولكني سأعرفك بنفسي ببضع ضربات من العصا .

كليانت جميع تهديداتك لا تفيد .

هرباغون ستعدل عن ماريان .

كليانت لن اعدل عنها .

هرباغون هات عصاً ، عجّل !

المشهد الرابع

المعلم جاك – هرباغون – كليانت

المعلم جاك «ينتقل من واحد الى آخر» ماذا ؟ ماذا أيها السيدان ؟ بماذا تفكران ؟ وماذا تنويان ؟

كليانت «لوالده» اني أهزأ بكل هذا .

المعلم جاك آه ! بهوادة يا سيدي .

هرباغون أتخاطبني بهذه الوقاحة ؟

المعلم جاك آه ! عفوك يا مولاي !

كليانت «لوالده» لن ترهبني !

المعلم جاك ماذا ؟ تخاطب والدك بهذه اللهجة ؟

هرباغون دعني أفعل .

المعلم جاك ماذا ؟ ماذا يريد ابنك ؟

هرباغون أُريد منك ، يا معلم جاك ، أن تقف حَكَماً بيننا لتتحقّق اني مصيب .

المعلم جاك قبلت . «لكليانت» ابتعد قليلاً .

هرباغون أُحب فتاة أريد أن أتزوجها ، وهذا الأحمق يتجاسر بوقاحة أن يحبها معي وأن يرغب في الزواج منها بالرغم مني .

المعلم جاك آه ! انه مذنب جداً .

هرباغون أليس فظيعاً ان يقدم الابن على مزاحمة أبيه ؟ الا يجب عليه ، احتراماً لي ، ان لا يعكر عليّ ميولي ؟

المعلم جاك الحقّ في جانبك . دعني أخاطبه ، وابقَ أنت هنا .

«يتجه الى كليانت في طرف المسرح»

كليانت طيّب ! بما انه اختارك حكَماً فأنا راضٍ . اني لأريد ان تكون حَكَماً بيننا يا معلم جاك .

المعلم جاك انك توليني شرفاً كبيراً .

كليانت اني أحب فتاةً تبادلني حبي وتجيب جميع تمنياتي ، على أن والدي يُسوّغ لنفسه تكدير حبّنا علينا بطلبه يد الفتاة .

المعلم جاك لا شك انه مذنب .

كليانت ألا يخجل من التفكير في الزواج وهو في هذه السن ؟ أيليق بـه أن يعشق ؟ أولا ينبغي له ان يترك مثل هذه المسائل للشبان ؟

المعلم جاك الحق في جانبك . دعني أقول له كلمتين . « يعود الى هرباغون » طيّب ! ليس ولدك فظيعاً بقدر ما صوّرته لي ، ولقد رأيتُه على كثير من التعقل ، فهو يقول انه لا يجهل انه مدينٌ لك بالوقار وانـه لم يتهوّس الا في المرة الأولى ، أمـا الآن فهو لا يرفض النزول على جميع مـا تأمره به بشرط ان تعامله بأحسن مما تعامله بـه وان تزوجه من امرأة تروق في عينيه .

هرباغون آه قل له ، يا معلم جاك ، انـه يستطيع ان يرجو مني ما يشاء ، واني أترك له الحرية في اختيار الفتاة التي يريدها ، بشرط ان لا يفكر في ماريان .

المعلم جاك دعني أفعل . « يتجـه الى كليانت » طيب ! ليس والدك فظيعاً بقدر ما تتصوّر ، ولقد قال لي انـه لم يغضب الا لهوسك ولتصرفاتك نحوه ، وانـه سيكون مستعداً لمنحك ما تتمناه بشرط ان تجيئه بالحسنى وأن تؤدي اليه واجب الاحترام والطاعـة اللذين يجب على الابن ان يؤديهما الى أبيه .

كليانت	آه يا معلم جاك ! تستطيع أن تؤكد له انه اذا وهبني ماريان سيراني اطوع له من ظلّه ، ولن أقدم على عمل إلا بمشيئته .

لمعلم جاك	« لهرباغون » انتهى الأمر . وقنع بكل ما أردت .

هرباغون	هذا أفضل حلّ .

المعلم جاك	« لكليانت » انتهى الأمر . وهو مسرور بوعدك .

كليانت	تباركت السماء !

المعلم جاك	اذاً لم يبقَ عليكما إلاّ أن تتخاطبا ، بعد ان تم الاتفاق بينكما . لقد كنتما على وشك ان تتخاصما بسبب سوء التفاهم .

كليانت	اني مدين لك بجميل عظيم يا معلم جاك .

المعلم جاك	لا يحتاج الأمر الى كل هذا .

هرباغون	لقد سررتني ، يا معلم جاك ، وهذا يستحق جزاء . « ينزع منديله من جيبه فيظن المعلم جاك ان هرباغون يريد ان يعطيه حاجة »

المعلم جاك	أقبّل يديك .	« يخرج »

المشهد الخامس

هرباغون – كليانت

كليانت	أسألك العفوَ يا والدي عن الهوس الذي أظهرته .

هرباغون لا بأس ! لا بأس !

كليانت أؤكد لك اني شديد الأسف والندم على ما فعلت .

هرباغون أمّا أنا فأشدُّ النـاس سروراً برؤيتي اياك ترجـع الى عقلك .

كليانت ان عفوك عني بهذه السرعة برهانٌ كبير على عطفك وكرم أخلاقك .

هرباغون ان هفوات الأولاد تُنسى بسرعـة عندما يعرف هؤلاء واجبهم .

كليانت ماذا ؟ ألا تحفظ لي شيئاً من جميع تمرُّداتي ؟

هرباغون لقد أجبرتني على نسيان كل شيء بطاعتك واحترامك.

كليانت أعـدك ، يا أبي ، بأني سأحفظ في قلبي حتى الموت تذكار عطفك وكرمك .

هرباغون وأنا اعدك أيضاً بأنك ستنال مني كلَّ ما تريد .

كليانت آه يا أبي ! لم أبقَ أريد شيئاً منك ، فيكفي انك أعطيتني ماريان .

هرباغون كيف ؟

كليانت قلت ، يا أبي ، اني شديـد الغبطة بك ، واني أرى نفسي قد حصلت على كل شيء بالحصول على ماريان .

هرباغون من قال لك انك حصلت على ماريان ؟

كليانت أنت يا أبي .

هرباغون   أنا ؟

كليانت   دون ريب .

هرباغون   كيف ؟ بل أنت الذي وَعَد بالعدول عنها .

كليانت   أنا أعدِل ؟

هرباغون   أجل .

كليانت   لن يكون ذلك .

هرباغون   ألم تتعهد بالرجوع عن عزمك ؟

كليانت   بالعكس ، بل صرتُ في عزمي أرسخ مني قبل الآن .

هرباغون   ماذا ؟ وقح ! أحمق ! سخيف !

كليانت   لن يقدر احدٌ ان يحوّلني عمّا عزمت عليه .

هرباغون   دعني أعمل يا خائن .

كليانت   اعمل ما يطيب لك .

هرباغون   أحرّم عليك ان تراني .

كليانت   لحسن الحظ .

هرباغون   إني أتخلى عنك .

كليانت   تخلَّ .

هرباغون   وأنكرك كولد .

كليانت   طيّب .

هرباغون   وأحرمك من الإرث .

كليانت	افعل ما شئت .
هرباغون	وأعطيك لعنتي !
كليانت	لست بحاجة الى عطاياك . « يخرج هرباغون »

المشهد السادس

لافليش – كليانت

لافليش	« يخرج من الحديقة وفي يده صندوقة صغيرة » آه ! أراك في حينك يا سيدي ، فاتبعني .
كليانت	ما وراءك ؟
لافليش	قلت لك اتبعني فقد نجحنا .
كليانت	ماذا ؟
لافليش	إليك ما تريده .
كليانت	ما هذا ؟
لافليش	صرفت النهار في الاحتيال لها .
كليانت	ما هذه ؟
لافليش	ثروة والدك التي قبضت عليها .
كليانت	آه ! كيف عملت ؟
لافليش	ستعرف كل شيء . لنهرب الآن فهو قادم اسمع صراخه .	« يخرجان »

المشهد السابع

هرباغون يصرخ « الى اللص ! » ويدخل دون قبعة

هرباغون الى اللص ! الى اللص ! الى القاتل ! الى الجاني ! عدلك أيتها السماء العادلة ! لقد انهدمت ! لقد سفكوا دمي ! سرقوا مالي ! من السارق ؟ ماذا حلّ به ؟ أين هو ؟ في أي مكان يختبىء ؟ ماذا أعمل لأهتدي إليه ؟ الى أين أركض ؟ الى أين لا أركض ؟ أليس هو هنا ؟ أليس هو هناك ؟ من هذا ؟ قف ! قف ! أرجع إليّ مالي يا أحمق ! « يقبض على نفسه » آه ! هذا أنا ! لقد فقدت شعوري ، وأجهل في أي مكان أنا ، ومن أنا ، وماذا أعمل ! أواه ! يا دراهمي المسكينة ، يا دراهمي المسكينة ، يا صديقتي الحبيبة ! لقد حرمت منك . وبما أنك نُزعتِ مني فقد فقدتُ سنَدي وعزائي وفرحي . آه ! انتهى كل شيء ولم يبقَ لي حاجة بالدنيا . فبدونك ، يا دراهمي ، لا أستطيع الحياة . قُضيَ الأمر ! قُضيَ الأمر ! آه ! إني أموت ! لقد متُّ ! لقد دُفِنت ! أما من أحد يستطيع أن

يحيني بردّ دراهمي عليّ او باطلاعي على من سرقها ؟ أوه ! ماذا تقول ؟ ليس أحد ... لا بدّ ان هناك أحداً سرقها بعد أن سهر كثيراً على اغتنام الفرصة . ولا شك ان السارق عرف كيف يستفيد من الوقت عندما كنت أخاطب ابني الخائن ! فلأخرج . يجب ان أرفع شكواي الى العدالة وأوقع الواقعة في البيت بين الخادمات والخدم والابن والابنة وانا أيضاً . « يلتفت الى الحضور » من هم هؤلاء؟ انهم كثيرون ! لا يقع نظري على واحدٍ منهم الا يخيّل اليّ انه السارق ! يه ! عمّ يتكلم هؤلاء ؟ أعن الذي سرق دراهمي ؟ وما هذه الضجّة التي أسمعها ؟ أتُرى اللص الذي سرقني هو هنا ؟ بحقكم جميعاً ، أتوسّل إليكم ان تهدوني الى مكان اللص ان كنتم تعرفون بأي مكان يقيم . أليس مختبئاً هنا ، بينكم ؟ اراهم ينظرون اليّ ويضحكون . لا شك انهم مشتركون في السرقة . هيّا ، أحضروا الشرطة . أحضروا القضاة . أحضروا آلات التعذيب ! أحضروا المشانق والجلادين ! أريد أن أشنق جميع الناس ، واذا لم أجد دراهمي أشنق بعد ذلك نفسي .

الفصل الخامس

المشهد الاول

هرباغون ـ مفوض الشرطة ـ الكاتب

المفوض	دعني أفعل ، فاني أفهم مهنتي والحمد لله. ولا يرجع الى اليوم عهدي باكتشاف اللصوص والقبض عليهم، واني لأتمنى لو كان لديّ من أكياس الذهب مقدار ما شنقت من الناس .

هرباغون	ان جميع القضاة مهتمون لهذه القضية اهتماماً كبيراً، واذا هم لم يهتدوا الى السارق ويردوا عليّ دراهمي أرفع شكوى العدالة الى العدالة .

المفوض	يجب ان تُلاحق القضية ملاحقة رصينة . قلت ان الصندوقة كانت تحتوي ...

هرباغون	ثلاثين الف فرنك عدّاً .

المفوض	ثلاثين ألف فرنك؟

هرباغون	ثلاثين ألف فرنك !

المفوض	ان السرقة كبيرة .
هرباغون	مـا من عقوبة تعادل فظاعـة هذه الجريمة ، فاذا بقيت هذه دون جزاء تصبح جميع الأشياء المقدسة في خطر شديد .
المفوض	ماذا كان نوع الدراهم ؟
هرباغون	ليرات ذهبية رنانة .
المفوض	من تتّهم بهذه السرقة ؟
هرباغون	أتّهم جميع الناس ، وأريد أن تصدر أمراً باعتقال المدينة والضواحي .
المفوض	يجب علينا ، اذا صدّقتني ، ان لا نبلبل أحـــداً من الناس وان نعمل بهدوء للحصول على بضعة أدلة نتوصل بها فيما بعد الى استرجاع المـــال الذي سُرق منك .

« يدخل المعلم جاك »

المشهد الثانى

المعلم جاك ـ هرباغون ـ المفوض ـ الكاتب

المعلم جاك	« في طرف الملعب ملتفتاً الى الجهة التي دخل منها » سأعود بعد هنيهة . يجب ان يُسرع بذبحه ، وان

تشوى قدماه ، ويوضع في المـاء الغالي ، ويُعلّق في السقف .

هرباغون من ؟ الذي سرقني ؟

المعلم جاك أتكلم عن الخنزير الذي أرسله إليّ مستشارك ، وبودّي ان أتدبره على هوى ذوقي .

هرباغون ليس المقصود هذا الآن ، وهوذا السيد الذي يجب أن يقال له أشياء أخرى .

المفوض « للمعلم جاك » لا تخف ، فلستُ بالرجـــل الذي يخيف ، وستجري الأمور بكل تؤدة وهدوء .

المعلم جاك « لهرباغون » حضرته من المدعوين ؟

المفوض يجب يا صديقي ان لا يخفى شيء عن سيدك .

المعلم جاك وحقك يا سيدي سأبذل كلّ ما بوسعي وأعاملـك أحسن معاملة أستطيعها .

هرباغون ليس هذا المقصود .

المعلم جاك « لهرباغون » اذا رأيتني لا أُعِدُّ لك العشاء الذي أتمنـاه فالذنب عـلى حضرة مستشارك الذي أرهقني باقتصاده .

هرباغون ليس المقصود العشاء ، يا خائن ! وأريد ان تطلعني على من سرق دراهمي .

المعلم جاك وهل سرق لك دراهم ؟

هرباغون أجل يا عفريت ، واذا لم تردّها عليّ أشنقك شنقاً .

المفوض يا الله ! لا تسيء معاملته . فاني أرى على وجهه دلائل الخلقِ الطيّب ، ولن نحتاج الى وضعه في السجن ، فسيقول لك كل ما تريد ان تعرف . « للمعلم جاك » نعم ، يا صديقي ، اذا اعترفت لنا بالحقيقة لا يلحقك سوء بل يجازيك سيدك مجازاة تستحقها . فقد سُرقت دراهمه اليوم ولا ريب انك تعرف بعض أشياء عن هذه القضية .

المعلم جاك « على حدة » هذا ما كنت أبحث عنه للانتقام من فاليو ، فمنذ دخل الى هنا أصبح الآمر الناهي المطاع . ولن أنسى ضربات العصا التي تلقيتها منه منذ هنيهة .

هرباغون ماذا تجترّ ؟

المفوض دعه يتدبر أمره ، فهو يستعدّ ليرضيك ، ولقد قلت لك انه رجل طيب الأخلاق .

المعلم جاك اذا شئت يا سيدي أن أقول لك الحقيقة فحضرة مستشارك العزيز هو الذي اقترف الجريمة .

هرباغون فاليو ؟

المعلم جاك نعم .

هرباغون هو الذي يتظاهر لي بالأمانة ؟

المعلم جاك هو بعينه . أعتقد انه هو الذي سرق دراهمك .

هرباغون وعلى ماذا تبني اعتقادك ؟

المعلم جاك على ماذا ؟

هرباغون نعم .

المعلم جاك أبني اعتقادي ... على ما اعتقد .

المفوض ولكن هذا لا يكفي ، فينبغي لك ان تطلعنا على الأدلة التي لديك .

هرباغون هل شاهدته يطوف حول المكان الذي وضعت فيه دراهمي ؟

المعلم جاك نعم ، نعم ، أين كانت دراهمك ؟

هرباغون في الحديقة .

المعلم جاك أجل ، شاهدته يطوف في الحديقة . وفي ماذا خبأت الدراهم ؟

هرباغون في صندوقة .

المعلم جاك انجلى الأمر . أبصرت بيده صندوقة .

هرباغون وهذه الصندوقة ، كيف هي ؟ أريد ان أتحقق ان كانت لي ؟

المعلم جاك كيف هي ؟

هرباغون نعم !

المعلم جاك هي ... هي كصندوقة .

المفوض هذا تحصيل حاصل . ولكن صفها لنا قليلاً لنرى .

المعلم جاك هي صندوقة كبيرة .

هرباغون ان الصندوقة التي سُرقت لي صغيرة .

المعلم جاك نعم ، هي صغيرة اذا شئنا أن نصفها من هذه الناحية ، ولكنها كبيرة بما تحتوي .

المفوض وفي أي لون هي ؟

المعلم جاك في اي لون ؟

المفوض نعم .

المعلم جاك هي في لون ... من تلك الألوان ... ألا تساعدني على التعبير ؟

هرباغون أوه !

المعلم جاك أليست حمراء ؟

هرباغون لا ، بل شهباء .

المعلم جاك نعم ، شهباء حمراء ، كان بودّي ان أقول ذلك .

هرباغون لم يبقَ سبيل الى الشك، فهي صندوقتي. « للمفوض » اكتب ، يا سيدي ، اكتب استجوابه . أيتها السماء! من تراني آتمن بعد الآن؟ فقد صرت اشك بجميع الناس واعتقد ان جميع الناس لصوص حتى صرت أرى نفسي جديراً بأن أسرق نفسي .

المعلم جاك مولاي ! هوذا فاليرعائد . ولكن لا تقل له ان الذي اطلعك على الحقيقة هو انا .

المشهد الثالث

هرباغون – فالير – المفوض – الكاتب – المعلم جاك

هرباغون أُدنُ ، أُدنُ ! تعالَ اعترف بأشنع رذيلة اقترفها الجنس البشري !

فالير ماذا تريد يا مولاي ؟

هرباغون كيف ؟ ألا تحمرّ خجلاً من جريمتك يا خائن ؟

فالير عن أية جريمة تتكلم يا سيدي ؟

هرباغون عن أية جريمة أتكلم ، يا وقح ؟ كأنك لا تعرف ماذا أقصد . ولكن عبثاً تحاول أن تخفي أمرك وتتقنّع ، فالأمر قد انكشف لي وأُخبرت بكل شيء . كيف تستطيع أن تتصرف بعطفي هذا التصرف فتدخل الى بيتي لتخونني وتمثّل هذا الدور الشائن ؟

فالير سيدي ، بما انك عرفت كلّ شيء فاسمح لي ان افشي لك الأمر أنا بدوري .

المعلم جاك «على حدة» يه يه ! أتُراني حزرت الحقيقة من حيث لم أقصد ؟

فالير كان بودّي أن أقول لك كل شيء ، على اني كنت

منتظراً سنوح الفرص، ولكن بما ان المسألة وصلت الى هنا فاني اتوسل اليك بأن لا تغضب وان تصغي اليّ اشرح لك الأسباب .

هرباغون أي أسباب تستطيع أن تعرضها ، أيها اللص الخسيس ؟

فالير آه ! لم استحق هذا اللقب يا سيدي . لا انكر اني ارتكبت نحوك عملاً سيئاً ، ولكن ذنبي يقبل الغفران .

هرباغون يقبل الغفران ؟ هذا الفخ ؟ هذه الجريمة ؟

فالير بحقّ السماء ، لا تستسلم الى الغضب ، فعندما تصغي اليّ يتضح لك ان الذنب ليس عظيماً بقدر ما تتصوّر .

هرباغون ليس الذنب عظيماً بقدر ما أتصور ؟ ماذا ؟ دمي ، أحشائي ، يا لص !

فالير ان دمك ، يا سيدي ، لم يقع في يد شريرة . واني لمستعد ان لا أسيء اليه ، وليس في كل ذلك ما لا أستطيع ان أُعوض عنه .

هرباغون ذلك ما اريده . اريد ان تعيد اليّ ما سرقت .

فالير ان شرفك ، يا سيدي ، لن يمسّ

هرباغون ليس في القضية ما يتعلق بالشرف . ولكن قل لي : من دفعك الى ارتكاب هذه الجريمة ؟

فالير واحرّ قلباه ! أتسألني ؟

هرباغون طبعاً أسألك .

فالير إلهٌ يحمل أعذاراً لكلّ عمل يصدر عنه، هو الحب.

هرباغون الحب ؟

فالير نعم .

هرباغون بورك بهذا الحب ، بورك بهذا الحب ، حب ليراتي الذهبية .

فالير لا ، يا سيدي ، لم يغرّني ذهبك ، فالذهب لا يخدعني وليس له سلطة على نفسي ، واني لاحتج على ذلك احتجاجاً كبيراً . وثق اني لا أرغب في شيء من ثروتك على ان تترك لي ما بيدي .

هرباغون أبداً وحقّ جميع الأبالسة لن أتركه لك . تأملوا بأية وقاحة يريد ان يستبقي لنفسه ما سرق مني !

فالير أتسمي هذا سرقة ؟

هرباغون أسمّي هذا سرقة ؟ كنز كهذا !

فالير صدقت . انه كنز، بل أثمن كنوزك جميعاً ، ولكن لا أظنك تخسره اذا أبقيته لي .

هرباغون يه يه !

فالير دع لي هذا الكنز الساحر . يجب ان تمنحني اياه لتقوم بعمل صالح .

هرباغون لا ، أبداً . ما هذه اللهجة ؟

فالير لقد تعاهدنا على الوفاء والأمانة ، وأقسمنا على ان لا يتخلى أحدنا عن الآخر .

هرباغون القسم بديع ، والعهد أبدع !

فالير نعم ، لقد تعاهدنا على ان لا نفترق وان يبقى كل منا للآخر .

هرباغون أؤكد لك اني أمنعك عن ذلك .

فالير لا يستطيع ان يفرّق بيننا الا الموت .

هرباغون ولكن الموت سيكون ملآن أبالسة بعد دراهمي.

فالير قلت لك يا سيدي ، ليس المال هو الذي دفعني الى عمل ما عملت . فان قلبي لم تحركه العوامل التي تتكلم عنها ، بل هناك دافع أنبل من هذا أوحى اليّ هذا العزم .

هرباغون « للمفوض » سترى انه يريد الاستيلاء على رزقي بالشفقة ، ولكن سأدع القانون يجري مجراه « لفالير » سترى أيها اللص ان العدالة تسترجع لي حقي .

فالير تستطيع ان تعمل ما تشاء ، وها أنذا مستعدّ لاحتمال جميع الآلام التي تفرضها عليّ ، ولكن أرجو اليك ان تثق انه ان كان ثمة ذنبٌ فهو واقع عليّ وحدي ،

وان ابنتك ليست مذنبة في شيء من كل هذا .

هرباغون وما شأن ابنتي في القضية ؟ أليس غريباً ان تلطخ نفسها بهذه الجريمة ؟ ولكن أُريد ان تعترف لي من أي مكان سرقتها .

فالير أنا لم أسرقها ، فهي لا تزال عندك .

هرباغون « على حـدة » آه يا صندوقتي العزيزة ! « عالياً » ألم تخرج من بيتي ؟

فالير لا يا سيدي .

هرباغون هه ! قل لي لأرى ألم تلمسها ؟

فالير أنا ألمسهـا ؟ انك تسيء اليهـا أكثر مني . فأنا لم أعشقها الا بعاطفة طاهرة وقورة .

هرباغون « على حدة » يعشق صندوقتي !

فالير واني لأفضل الموت على أن أُظهر لهـا أية فكرة سيئة أو مهينة ، فهي شريفة جداً من هذه الناحية .

هرباغون صندوقتي شريفة جداً !

فالير ولقد اقتصرت مشتهيـاتي على التمتع برؤيتها ، وثق اني لم أشعر بشيء مجرم يدنس الميل الذي أوحتـه إليّ عيناها الجميلتان .

هرباغون « على حدة » عينا صندوقتي ؟ انـه يتكلم عنها كما يتكلم عاشق عن عشيقته .

فالير ودام كلود ، يا سيدي تعرف حقيقة هذه الحادثة ، وهي تستطيع ان تشهد ...

هرباغون « يقاطعه » ماذا ؟ خادمتي شريكتك في الجناية ؟

فالير نعم يا سيدي ، لقد كانت شاهدة على تعاهدنا ، وهي لم تساعدني على استدراج ابنتك لاعطائي عهدها الا بعد ان وثقت من صدق عاطفتي وحبي .

هرباغون « على حدة » هيه ؟ أتراه خشي العدالة فراح يخبط في كلامه ؟ « لفالير » ما يدفعك الى انزال ابنتي في هذه المسألة ؟

فالير قلت ، يا سيدي ، اني كابدت كثيراً من المشقات لانزال حيائها على مشيئة حبي .

هرباغون حياء من ؟

فالير حياء ابنتك . وهي لم تعزم على قبولي زوجاً لها إلاّ أمس .

هرباغون ابنتي قبلتك زوجاً لها ؟

فالير نعم ، يا سيدي ، كما أني قبلتها زوجةً لي وتعاهدنا على ذلك تعاهداً خطياً .

هرباغون أيتها السماء ! هذه مشكلة أخرى !

المعلم جاك « للمفوض » اكتب ، يا سيدي ، اكتب .

هرباغون يا للمصيبة ! يا للقنوط ! « للمفوض » هيا ، يا سيدي ،

قم بواجبك وسجله في دفترك كلصٍّ مختلس وكخداع ذميم !

فالير — لا أستحق مثل هذا اللقب ، وعندما تعلم من أنا ...

المشهد الرابع

اليز – ماريان – فروسين – هرباغون – فالير
المعلم جاك – المفوض – الكاتب

هرباغون — « لابنته الداخلة » أيتها الابنة المختلسة ! أيتها الابنة العاقّة ! أهكذا تمارسين التعاليم التي لقنتك اياها ؟ أتستسلمين في حبك الى لصٍّ لئيم وتعاهدينه على الزواج دون أن تستشيريني ؟ ولكن ساءَ فألك وفأله ، وستعاقبك جدران الدير على ما صنعت . « يلتفت الى فالير » أما أنت أيها اللص الذميم ، فستجازيك المشنقة على جسارتك !

فالير — ولكن لن يعهد الى اهوائك وهوسك بمحاكمتي ، وستصغي العدالة إليّ قبل ان تصدر عليّ حكماً .

هرباغون — لقد تساهلتُ بقولي المشنقة ، فسيقطع جسدك حيّاً !

اليز — «تركع أمام والدها» آه يا أبي ! أتوسل اليك ان

تتخذ لك شعوراً ارقّ من هـذا فلا تدفع بالأمر الى آخر حد من قسوة السلطة الوالدية . لا تـدع نفسك تستسلم الى أهوائك الأولى وأفسح لنفسك في التفكير بما تودّ أن تصنع . وأتوسّل اليك ان تنظر الى الفتى الذي تهينه غير نظرتك هـذه ، فهو غير ما تعتقد وما تصوره لك عيناك . وسترى ان استسلامي اليه حق من حقوقه عندما يتضح لك انك لولاه ما رأيتني حيّـة الى اليوم . نعم يا والدي ، هذا هو الشاب الذي انقذني من ذلك الخطر الكبير يوم أوشكت أن اغرق في المياه ، واليه وحـده يرجع الفضل في ...

هرباغون	كل هـذا لا يفيد ، بل كان أولى به ان يدعـك تغرقين من ان يأتي العمل الذي أتاه .

اليز	أبي ، أتوسل اليك بحق الحب الوالدي أن ...

هرباغون	« يقاطعها » لا ، لا ، لا اريـد أن أسمع شيئاً ، ويجب ان تأخذ العدالة مجراها .

المعلم جاك	« على حدة » ستدفع لي ثمنَ ضربات العصا .

فروسين	« على حدة » هذا مشكل غريب. هذا مأزق حرج .

« يدخل انسيلم »

المشهد الخامس

انسيلم – هرباغون – اليز – ماريان – فروسين – فالير –
المعلم جاك – المفوض – الكاتب

انسيلم ما بك يا سيد هرباغون ؟ أراك مضطرباً .

هرباغون آه يا سيد انسيلم ، انك تراني أشقى البشر جميعاً ، فقد أُنزلت بي مصائب ستحول دون العقد الذي عملته . آه ! انهم ينحرونني في مالي وشرفي ! واليك هذا الخائن هذا اللص الذي اختلس جميع الحقوق المقدسة والذي دخل بيتي بصفة خادم امين ليسرق دراهمي ويغوي ابنتي .

فالير من فكر في دراهمك التي تهذي بها ؟

هرباغون نعم ، لقد تعاهدا على الزواج ، وهذا العار لاحقٌ بك يا سيد انسيلم ، فينبغي لك ان تتدبر الأمر بنفسك وان تلاحق القضية أمام العدالة لتنتقم لنفسك من وقاحته .

فالير ليس قصدي ان أتزوج ابنتك غصباً عنها ، ولا اريد ان اتطلب شيئاً من قلبٍ اتخذ له وجهة ، ولكني أعدك بأن أعمل لصالحك كما أعمل لصالحي ، وان انظر في شأنك كما لو كان شأني .

هرباغون	هوذا يا سيدي مفوّض شريف الأخلاق لن يهمل القيام بواجبه على ما يقول ، فاعهد اليه بما تراه موافقاً واجتهد ان تجسم الجريمة كما يجب .

فالير	لا أفهم أية جريمة اقترفت بميلي الى ابنتك، والعقاب الذي تظن ان العدالة ستنزله بي بسبب تعاهدنا سيسقطه القضاء عندما يعلم من أنا .

هرباغون	اني أهزأ بجميع هذه الأقاصيص ، فالعالم في هذه الأيام طافحٌ بهؤلاء اللصوص المتنكرين بالشرف والنبل ، بهؤلاء المختلسين الذين يستثمرون الضعة والظلمة فيتقنعون ، بكل قحة ، بأسماء نبيلة يتخذونها لهم .

فالير	اعلمْ اني أشرف وأنبل من ان أتنكر بزيّ ليس مُلكي وان نابولي بأسرها تشهد لي .

أنسيلم	بهوادة ! احذر ما تقول ، فأنت تجاوز الحدّ في مزاعمك ، وتجهل انك تتكلم أمام رجل يعرف نابولي بأسرها ويستطيع بكل سهولة ان يوضح اي تاريخ تفتحه .

فالير	« يضع قبعته بفخر » ان كنت تعرف نابولي فأنت تعرف من كان الدوم توماس دالبورتشي .

انسيلم	دون ريب أعرفه . ولا أخال أحداً يعرفه أكثر مني .

هرباغون أنا لا أعبأ لا بالدوم توماس ولا بالدوم مرتينوس.

انسيلم بحقك ، دعه يتكلم لنرى الى اين يريد ان يصل .

فالير أريد ان أصل الى ان الدوم توماس دالبورتشي هو الذي أراني النور .

انسيلم هو ؟

فالير نعم .

انسيلم هيّا ، هيّا ، انك تخبط في كلامك ، فابحث لك عن قصة تنجح بها ولا تحاول ان تنقذ نفسك بهذا الافتراء.

فالير تعلّم أصول الكلام ، فلست بمفترٍ أنا ، ولا أتلفظ بكلمة واحدة لا أستطيع ان أدعمها ببرهان .

انسيلم ماذا ؟ أتتجاسر ان تزعم انك ابن الدوم توماس دالبورتشي ؟

فالير نعم أتجاسر . واني لمستعدّ ان أؤيد هـذه الحقيقة أمام أي رجل كان .

انسيلم جسارة غريبة ! اعلم ان الرجل الذي تتكلم عنه قـد هلك غرقاً في البحر منذ ست عشرة سنة هو وولداه وزوجته اذ كان هارباً من وجه الاضطهادات الظالمة التي رافقت ثورة نابولي والتي ذهب ضحيتها عددٌ كبير من أعظم الأسر النبيلة .

فالير نعم ، ولكن اعلم أنت بدورك ان ولده البـالغ

من العمر سبع سنوات قد نجا من هـذا الغرق في مركب اسباني ، وان هـذا الابن الناجي هو نفسه الذي يخاطبـــك الآن . واعلم ان ربان هـذا المركب أشفق عليّ اشفاقاً دفعه لأن يتبناني ، اني عالجت السيف منذ ذلك الحين وصرت خبيراً به . واعلم أيضاً انه اتصل بي أخيراً ان والدي لم يمت كما كنت أعتقد ، واني بينا أنا مارّ من هنا لأبحث عنـه شاءت السماء ان أُشاهد اليز فأوقعتني هـذه المشاهدة أسير جواذبها ، وان شدة حبي لها وضغط والدها عليها أنزلاني في هذه الدار منزلة الخدم لأبقى بالقرب منهـا فأرسلت من يقـوم عني بالبحث عن أهلي .

أنسيلم ألديك براهين أخرى تؤكد لنا ان مـا تقوله الآن ليس اسطورة بنيتها على حادث حقيقي ؟

فالير نعم ، الربّان الاسبـاني ، وختم والدي المرصع بالحجارة الكريمـة ، وسوار من الذهب كانت أمي قد وضعتـه في ذراعي ، وبيدور العجوز ، هـذا الخادم الذي نجا معي من الغرق .

ماريان أوّاه ! ان كلامك هذا يؤكد لي انـك لست الا صادقاً ، وان ما سمعت منك يؤكد لي انك أخي !

فالير	أنت أختي ؟

ماريان	نعم ، ولقد تفطّر قلبي منذ الساعة التي فتحت فيها فمك ، فكثيراً ما حدثتني أمي التي ستشاهدها عما قريب عن العذاب الذي قاساه أهلنا . ان السماء لم تشأ ان تُهلكنا في البحر ، ولكنها لم تنقذ حياتنا الا بسلخها حريتنا عنّا . ولقد انقذنا ، أمي وأنا ، جمهورٌ من البحارة شاهدنا على حطمة المركب الذي سحقته المياه ، وبعدما قاسينا من العبودية عشر سنوات قدّر لنا الحظّ السعيد أن نسترجع الحرية فعدنا الى نابولي فوجدنا أرزاقنا قد بيعت جميعها ولم نستطع الوقوف على شيء من اخبار والدنا ، فاتجهنا الى جنوى حيث استطاعت أمي ان تجمع بعض حطَمٍ من إرثٍ لها ، ومن هناك اتجهنا الى هذا المكان بعدما قاست أمي كثيراً من قسوة أهلها .

انسيلم	أيتها السماء ! عجيبةٌ هي حكمتك العليا ، وعظيمة هي عجائبك التي تتفرّدين بها ! عانقاني يا ولديّ الحبيبين ، وامزجا أفراحكما بأفراح الوالد .

فالير	أنتَ والدنا ؟

ماريان	أأنت الذي طالما بكته أمي ؟

هرباغون	هيه !

انسيلم نعم يا ابنتي ، نعم يا ابني ، انا الدوم توماس دالبورتشي الذي نجته السماء من بين الأمواج وانقذت معه جميع ما كان يحمل من المال ، والذي ظنكم جميعاً أمواتاً منذ ستة عشر عاماً فراح يبحث له عن زوجة صالحة تعزّيه . لم اجد في نابولي ما أُؤمن به على حياتي فبعتُ ما أملك فيها وهجرتها الى الأبد ، وجئت الى هذا المكان أصرف ايامي فيه متنكراً باسم انسيلم لأقصي عني ذلك الاسم الذي كان سبب مصائبي وآلامي .

هرباغون اذاً ، هذا ابنك ؟

انسيلم نعم .

هرباغون قل له اذاً ان يدفع لي ثلاثين ألف فرنك سرقها مني .

انسيلم هو سرقها منك ؟

هرباغون هو بعينه .

فالير من قال لك ذلك ؟

هرباغون المعلم جاك .

فالير « للمعلم جاك » أنت قلت ذلك ؟

المعلم جاك ألا تراني لا أقول شيئاً ؟

هرباغون نعم ، وهوذا المفوض الذي سجّل استجوابه .

فالير أتظنني جديراً باقتراف عملٍ ذميم كهذا ؟

هرباغون جدير أو غير جدير ، أريد استرجاع مالي .

المشهد السادس

كليانت ـ فالير ـ ماريان ـ اليز ـ فروسين ـ هرباغون ـ انسيلم ـ المعلم جاك ـ لافليش ـ المفوض ـ الكاتب

كليانت لا تستسلم الى القلق ، يا أبي ، ولا تتّهم أحداً . فقد اكتشفت انباء جديدة عن قضيتك وجئت اليك لأقول لك انك اذا شئت ان تدعني اتزوج ماريان يرجع اليك مالك .

هرباغون وأين هو ؟

كليانت لا ترّعج نفسك ، فهو في مكان أمين وفي حرز حريز ، وارجاعه اليك يتعلق بي وحدي . فقل لي على ماذا عزمت ؟ انك تستطيع ان تختار بين أمرين : إما ان تعطيني يدّ ماريان أو ان تخسر صندوقتك .

هرباغون ألم يُمسّ شيء منها ؟

كليانت أبداً . أنظر الآن نظرتك الأخيرة . أتريد ان توافق على هذا الزواج وان تجمع موافقتك على

موافقة امها التي تترك لها الحرية في اختيار واحد منـّا ؟

ماريان	ولكنك نسيت ان موافقة امي اصبحت لا تكفي ، فالسماء التي أعادت اليّ أخي أعادت اليّ أيضاً والداً ينبغي لك ان تطلب يدي منه .

انسيلم	ان السماء ، يا ولديّ ، لم ترجعني اليكما لأحول دون ما تريدان . «لهرباغون» سيد هرباغون ، ترى جيداً ان اختيار الفتاة الشابة يقع على الابن لا على الأب ، فهيّا وافق على هذا الزواج .

هرباغون	ينبغي لي ان ارى صندوقتي قبل ان أسمع نصائح .

كليانت	ستراها ، كما كانت ، لم تمسّ .

هرباغون	ليس لديّ دراهم أعطيها لولديّ في الزواج .

انسيلم	انا أقوم بهذه المهمة فلا تزعج نفسك بها .

هرباغون	أتكلف نفسك القيام بجميع نفقات الزواجين ؟

انسيلم	نعم ، أكلّف نفسي . أراضٍ أنت ؟

هرباغون	نعم ، بشرط ان توصي لي بثوب جديد للعرس .

انسيلم	اتفقنا . فهيّا نتمتع بأفراح هذا اليوم السعيد !

المفوض	هولا ! أيها السادة ، هولا ! بهوادة ، على رسلكم ! من يدفع لي اجرتي ؟

هرباغون	لا شأن لنا بأجرتك .

المفوض	هيه ! ولكني لم أشتغل مجّاناً .

هرباغون « يدلّه على المعلم جاك » خذ هـذا الرجل واشنقه لقاء ما اشتغلت .

المعلم جاك آه ! ما العمل ؟ أُطعَم العصيّ جزاءَ صدقي وأُشنق جزاءَ كذبي !

انسيلم سيد هرباغون ، ينبغي لك ان تغفر له افتراءه .

هرباغون أتدفع اجرة المفوض ؟

انسيلم أدفعها . هيّا بنا الى أمّكما تشاركنا في الفرح .

هرباغون وأنا الى صندوقتي العزيزة .

تمت

بعض منشوراتنا المسرحية

ليلى ابنة الملك النعمان

دعد أميرة غسان

ثريا الأميرة الهندية

عدلا أميرة بني شيبان

حنة أميرة بريطانيا

الحب الأخوي

الطبيب على الرغم منه

المثري النبيل

مريض الوهم

الروائي

صلاح الدين الأيوبي

•



